أضواء نقدية على رباعية الكوني

تأليف

د. علي عبد المطلب الهوني

دار لبيان
DAR LIBIAN

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح خالي السنوسي الدبري
أسكنه الله الدرجات العلى
من جنة الفردوس

مقدمة

يُعـدّ الكـوني أحد أعظم أساطين فن الرواية العربية من حيث البناء الروائي، فلقد أعطاها بُعداً وطعماً ومعنى جديداً لم يكن مألوفاً، كما أنه أدخـل عليها عالماً وشخوصاً ومكاناً ما كانت الرواية العربية تناولته من قـبل، ومـن ثم لم يدخل ضمن موضوعات النقد الأدبيّ إلا بعد صدور إبداعاته.

فـالطوارق الذين كثيراً ما يحلو للكوني أن يسميهم بالبدو، وكذلك الصحراء الكبرى، وعلاقات الطوارق بعضهم ببعض، وعلاقاهم بغيرهم، مـا كـان لها أن تطفو على السطح بهذا الشكل الصارخ لو لم يتناولها الكـوني بهـذا الـزخم. بل لظلّت الصحراء الكبرى مجهولة كغيرها من الصـحاري في هـذا العالم الفسيح، ولظلّ الطوارق بهمومهم وقضاياهم مغمورين ومجهولين كغيرهم من الأجناس المختلفة التي يزخر بها هذا العالم، ولكن كما يقول المثل الشعبي (فارس يحيي قبيلة وقبيلة ما تحيي فارس).

مـن هذا المنطلق، ومن غيره من المنطلقات، ارتأينا أن ندرس الكوني دراسـة نقديـةً واعية ونفتح موضوعات على غاية من الأهمية لم تتناولها الدراسات السابقة عن رباعية الخسوف.

[illegible]

طرابلس ـــ ليبيا

2001/07/01

الضوء الأول

المفهوم النقدي في رباعية الكوني

الجانب النقدي

نحن لا نشكّ لحظة في أن كاتباً مبدعاً كالكوني ــ مثلاً ــ يختزن في ذاتــه تجارب كثيرة وقراءات مختلفة تظهر مجتمعة في عمل إبداعي كــبير كرباعية الخسوف مشكّلة تجربة إبداعية رائعة سواء كان ذلك عن قصد أم عن غير قصد موحيةً للقارئ الناقد بالأساسيات الأولية الــتي بــنى عليها الرواية. ذلك أنّ الروائي قد لا يكون واعياً بكل جزئيات روايته إذ يتدفق عليه فيض إبداعي لا يعرف له مصدر، وإن كان يراه ظاهراً فيما يكتب ــ قد يطول ذلك وقد يقصر ــ حتى أنّ كــثيراً مــن المبدعين لا يصدقون أنهم أبدعوا فيما كتبوا ويكثر هذا الضــرب في الشعر خاصة؛ لأنّ الشاعر المبدع يكون في حالة غياب عــن الــذات من جهة وغياب عن المكان والزمان من جهة أخرى، وبمجــرّد وعيه بما حوله أو بالزمن الذي هو فيه أو وعيه بذاته ينقطع ذلــك المــدد وتنتهي القصيدة وتبدأ المرحلة الثانية وهي إعادة تنقيح القصيدة.

وليس الكوني بدعاً من هؤلاء وإن كثر تدخّله في توجيه شخوص روايته لتغليب فئة على فئة أخرى كما سنرى في ثنايا هذا البحث.

إنّ الكوني قد تأثّر بقصة موسى عليه السلام كثيراً في هذه الرباعية

من حيث شاء أم من حيث لم يشاء وإن ظهر بينهما اختلاف بسيط.

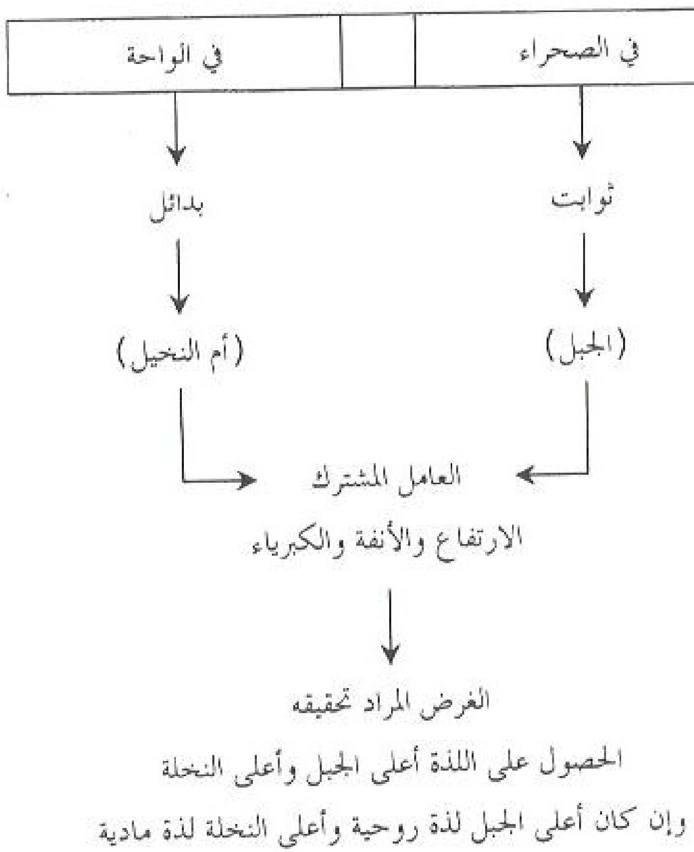
وبمقارنة كلتا القصّتين يظهر التوافق والاختلاف إن وجد في هذا الشكل:

موسى عليه السلام	غوما (بطل رباعية الخسوف)
انتقل موسى من بيته للحياة في بيت أفضل من بيته من الناحية المادية وإن ظلّ متعلقاً بسكنه الأول من الناحية الوجدانية.	انتقل غوما للعيش في الواحة وهي أفضل من الصحراء من الناحية المادية وإن ظلّ متعلقاً بالصحراء من الناحية الوجدانية.
ارتكب جريمة قتل وغفر الله له.	ارتكب في الواحة — في رحلته الأولى — بعض المعاصي.
ذهب إلى مدين طلباً للأمان وحياة أفضل.	ذهب للواحة طلباً للعلم وحياة أرغد.
عاد إلى موطنه نبياً مرسلاً.	عاد إلى موطنه أعلمهم بأمور الدين.
انتصر على فرعون ثم على السحرة الذين آمنوا به بعد ذلك.	انتصر على الفرنسيين وابنه امستان.
الانتصار كان داخل مدينة.	الانتصار كان داخل واحة غات.
هروب موسى وقومه من فرعون قاطعاً البحر.	هروب غوما وقومه من الواحة الغارقة بالطوفان.

موسى عليه السلام	غوما (بطل رباعية الخسوف)
حياة موسى وقومه في المدينة فيها شظف في العيش.	حياة غوما وقومه في واحة ادرار فيها شظف في العيش.
منازل موسى وقومه أقلّ درجة.	منازل وغوما وقومه أقل درجة — أكواخ وخيام.
غرق فرعون وحاشيته ومن معه جميعاً.	غرق شيخ الواحة وقاضيها وأهلها جميعاً.
بدأ موسى وقومه حياة جديدة في أرض جديدة: فلسطين.	بدأ غوما وقومه حياة جديدة في أرض جديدة: وادي الآجال.
سلطة موسى على قومه ليست سلطة حاكم ومحكوم.	سلطة غوما على قومه ليس سلطة حاكم ومحكوم.
ترك موسى وقومه كل ممتلكاتهم وخرجوا من مصر.	ترك غوما وقومه كل ممتلكاتهم وخرجوا من الواحة.
ابتلي قوم فرعون بالطوفان والجراد والقمل والضفادع وغيرها.	ابتلي أهل الواحة بالعقارب والطوفان.
كان فرعون وقومه يأتون الفاحشة ويشربون الخمر.	كان أهل الواحة في الرباعية يأتون الفاحشة ويعاقرون الخمر.

هــذا وقد وضع الكوني لإنسان الصحراء ممثلاً في شخص غوما بطل روايته الخسوف ثوابت لا يمكن التنازل عنها بحال من الأحوال، فــإذا افــتقدها في الواحة ــ مثلاً ــ سعى لتعويضها ببدائل ليعيش الحدث وكأنه مازال في الصحراء.

وفي مــا يلي أشكال تبين الثوابت والبدائل للإنسان الصحراوي على حسب ما جاء في رباعية الخسوف:



في الصحراء | في الواحة

ثوابت | بدائل

(بئر اطلنطس) | (مغارة مهمدو)

العامل المشترك

العمق والظلمة

الغرض المراد تحقيقه

الحصول على أساسيات الحياة يتطلب معاناة

وإن كانت في البئر معاناة مادية وفي المغارة معاناة روحية

في الصحراء | في الواحة

ثوابت | بدائل

(دلو) | (قوقعة)

العامل المشترك

كلاهما إناء (وعاء)

الغرض المراد تحقيقه

وسط الدلو ماء ووسط القوقعة ذهب

(القيمة العالية لما في كليهما)

في الصحراء		في الواحة

ثوابت — بدائل

(ماء) — (ذهب)

العامل المشترك

القيمة العالية للماء عند الطوارق لندرة الحصول عليه في الصحراء تساوي
القيمة العالية للذهب عند أهل الواحة لندرة الحصول عليه في الواحة

الغرض المراد تحقيقه

لذة الحصول على الماء عند الطوارق
تساوي
لذة الحصول على الذهب عند أهل الواحة

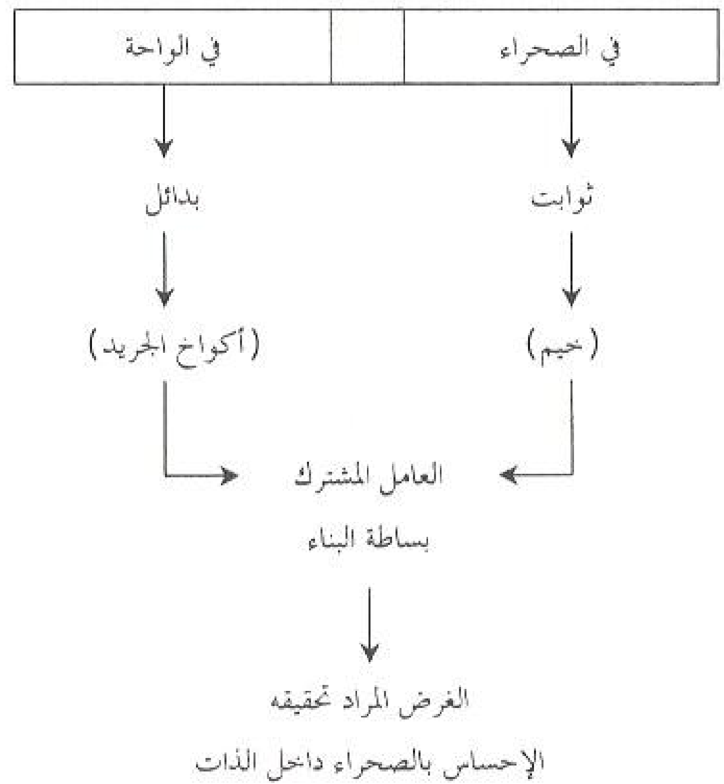
في الصحراء		في الواحة

ثوابت — بدائل

(مهري) — (كلب)

العامل المشترك
السرعة والوفاء

الغرض المراد تحقيقه
تحقيق متعة الاصطحاب



هــذا وقــد أضفى الكوني على بطل رباعيته هذه كل الصّفات والخصــال والمهام التي جعلت منه حاكماً مطلقاً على الصحراء وما جاورها، بل صنعت منه إلهاً كما يطيب للكوني أن يدعوه.

يقول الكوني:

(من يستطيع أن ينزع عنك العظمة أنت إله الصحراء رغم أنف الكارهين إن وجدوا) [1].

هذا الإله كان من حقه أن يختار البدائل كما شاء ودونما اعتراض ـــ من أحد ـــ حتى من قومه.

ولقــد أبدع الكوني في رباعيته هذه إبداعاً قلّ نظيره وقلّ من بلغ شأوه فهو يتمتع بمقدرة عالية في نسج خيوط روايته مع تعميق المفهوم الــذي يــريده بطريقة عبقرية وأسلوب ساحر؛ إلاّ أن شعوره بأنه صــاحب قضــية مهضومة جعله دائم التدخل لصالح فئة بعينها ـــ الطــوارق ـــ وهي الفئة التي ينتمي إليها ليجعل لها الغلبة على غيرها مــن الفــئات الأخر فأفسد من حيث أراد أن يصلح. فلو أنه ترك شخوص روايته تصنع أحداثها وظلّ يراقبها دون أن يتدخل لصالح أيّا

1) أ. إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق،ط1، ت1989م، بيروت، ص119

منها. فلربما أوصله ذلك لأن يكتب ضد انتمائه القبلي وإن كان في المقابل سيعطي طعماً ومذاقاً جديداً لروايته.

وهذا ليس جديداً في عالم الرواية، فبلزاك (الروائي الفرنسي) كان من النبلاء وكان ممن آمنوا بالثالوث المقدس (البابا والإمبراطور والنبلاء) إلاّ أن عدم تدخل في توجيه مسيرة شخوص رواياته جعل رواياته غالباً ما تنتهي بالكتابة ضد ما آمن به وإن كان في المقابل جعلنا نعيش الحدث مع شخوص رواياته وكأنما نحن وإيّاها في ذات الزمان والمكان نشعر بما تشعر ونعاني ما تعاني في شخصيات متحرّرة من سلطة الكاتب.

فمثلاً لو اتخذنا (غوما) بطل رباعية الخسوف نموذجاً لقلنا إنّ الكوني لم يتدخل لتوجيهه في الجزء الأول ــ البئر ــ لأنه يعيش بين أهله وقبيلته ولكن ما إن انتقل إلى الواحة حتى لازمه كظلّه وجعله لا يعدو كونه بيدقاً في يده يوجّهه ويتدخل لصالحه بحجة الخوف عليه لا منه وذلك خوفاً من أن يسقط فتسقط معه قبيلة الطوارق ولو أدّى تدخله إلى مبالغات ممجوجة أفسدت أريحية الرباعية في كثير من مواضعها كجلده لأهل الواحة وعدم مساءلته من قِبل رجال الشرطة. بل يصل هذا التدخّل إلى حد إهانة ضابط شرطة أمام جنوده وكالعادة يخرجه الكوني من هذا المأزق دون حتى توجيه لوم له.

ومن المبالغات المفضوحة تدخله لصالح غوما وجعله خبيراً جيولوجياً يعرف مناسيب المياه ومساراته في جوف الأرض.

يقول الكوني:

(أنا أقترح أن نغير الموقع ونجرّب حظّنا جنوباً. أيده الشيخ غوما وأضفى تعديلاً بسيطاً على الموقع عندما حدد المكان: (... بل في الجنوب الشرقي) واقتعد الأرض وتناول عوداً ورسم به خريطة دقيقة للنهر السفلي الذي يجري البحث عن روافده. قال: (... النهر هنا، ينحرف في شكل قوس مشدود يأتي من وادي الآجال ويعبر بحيرات الدوادة في بحر الرمال ويطلّ على الواحة من هذه الجهة، وينحرف هنا في منطقة السبحة فتستولي عين الكرمة على نصيبها من الماء وتستمد ينابيعها منه، ثم يمضي النهر منحدراً جنوباً ويتفرّع إلى روافد يستمد منها بئر اطلنطس نصيبه أيضاً، ولكن هذا الرافد جف في السنوات الأخيرة)[1].

فهل بعد هذا العرض الذي لا يستطيع خبير جيولوجي أن يأتي به إلا بعد استخدام أكثر آلاته دقة في هذا المجال يظل من شك في أنّ الكوني كان يتدخل لصالح شخوص بعينها في رباعيته.

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ط1، ت1898م، بيروت، ص67.

هذا وقد سلك الكوني منهجاً معقداً صعباً كثير التشعّب في سبر أغوار غوما النفسية وهو ما لا نجده عند كثير من الروائيين إلا قليلا، فنفسية غوما عندما كان يقيم في الصحراء بالقرب من بئر اطلنطس كانت صافية نقية تجد راحتها في أعلى الجبل وفي الصوم كثير الصمت مما يجعل درجة الشفافية عنده عالية و لم يكن انطوائه في الجبل لأيام ـ أحياناً ـ ناتجاً عن مرض بل كان لسبر أغوار نفسه، فهو على حدّ تعبيره يرى أن (الجبل مكان ملائم جداً. إنه أرحب، وصدره أكثر أماناً من صدور البشر. من الملائم أن يودعه المر أحزانه. إنه لا يبوح بالأسرار)(1).

فإذا أضفنا إلى الجبل الصحراء التي هي عند الطوارق بمثابة الماء للسمك حيث لا مرض ولا معاناة نفسية ولا ضيق أفق بل نقاء وصفاء ووضوح في كل شيء في الناس وفي المكان وفوق ذلك كله حياة سهلة وادعة.

هذه العوامل مجتمعة كان لها مردودها على غوما وقبيلته عندما انتقلوا للعيش في الواحة.

بدأت ملامح الضيق والمعاناة تظهر على وجه وتصرّفات غوما الذي استبدل بالصحراء التي يرى أن لها انتمائه وفيها يحقق ذاته فهو

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ط1، ت1989م، بيروت، ص177.

ابنها ولا فخر استبدلها بالواحة التي يرى أنها أحقر من أن تحقق ذاته المتعالية.

هذا وإذا كان الجبل عند الكوني هو رمز الصحراء فإن المغارة عنده هي رمز الواحة التي بدأت فيها آلامه وأمراضه النفسية مع لا وعي مريض يتمثل في (مهمدو) فإخراج (مهمدو) من قبره يدلّ على إخراج غوما من صحرائه فكما أن (مهمدو) لم يُخرِج نفسه بنفسه من القبر فكذلك غوما لم يُخرج نفسه بنفسه من الصحراء إذ أن فقدانه الماء فيها هو الذي أجبره على الخروج منها فالبقاء فيها معناه الموت كذلك الحال مع مهمدو فقدان الهواء هو السبب الأول والرئيس في إخراجه والمحصّلة واحدة:

حياة بدون ماء = الموت، وحياة بدون هواء = الموت.

لذا وجب الخروج. فانبعاث (مهمدو) للحياة من جديد يدلّ على انبعاث لا وعي غوما ورجوعه إليه وهو الذي تركه في الواحة إبان معيشته فيها في الأيام الخوالي وتعليق أحد الذين شاهدوا إخراج (مهمدو) من قبره بقوله أن مهمدو سيعيش طويلاً لأنه دفن وعاد من جديد هو قرينة دالة على أن غوما سيعيش في الواحة فترة أطول هذه

المرة وهذا معلوم بمسببات نزوح غوما وقبيلته إلى الواحة[1].

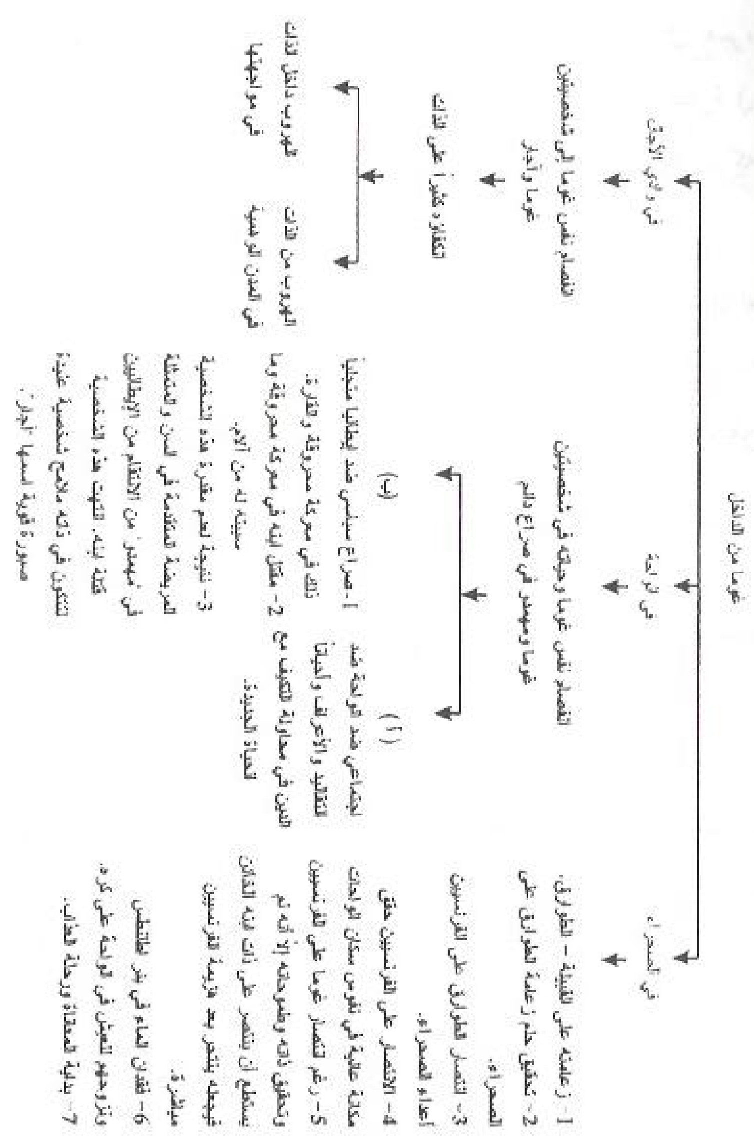
ولكن وبغرق واحة ادرار وغرق مهمدو الذي هو لا وعي غوما يتحول غوما إلى وادي الآجال مع لاوعي جديد لأن قدوم الاستعمار واستحالة التعايش معه أو بالأحرى مع قاتلي ابنه الذي يرى أنه أيضاً اشـــترك في قتله بسبب عدم مناولته إيّاه قلوني الماء وإن قتل على يد أحـــد القناصـــة الطليان ظهر ذلك كله جلياً بتحول لا وعيه بموت مهمدو إلى آجار (قاتل أمه) الذي قتلها وهو غائب عن الوعي حيث أجـــبر من قبل الإيطاليين على شرب الخمر فشرب حتى ثمل ثم أجبر على قتلها ففعل هذا.

ونهايـــات لا وعـــي غوما إما أن تنتهي فيما يشبه الانتحار كما حدث مع (مهمدو) الذي رفض التعايش مع غوما في وضعه الجديد لينتهي في واحة أدرار مع المنتهين وليبدأ غوما مع لا وعي جديد هو (آجـــار) الذي انتحر قبيل موت غوما بقليل وحتى هذا القليل الذي عاشه غوما لم يكن فيه وحيداً بل عاد لا وعيه إليه بخروج (آجار) من قبره ليلاً وهو دليل على عودة لا وعيه إليه مرة أخرى.

يلاحظ على الكوني استخدامه للبعث من القبر في إعادة اللاوعي لغوما سواء مع (مهمدو) أو مع (آجار).

وللتوضيح أكثر انظر هذا الشكل:

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، الواحة.



ولقد سار الخرف في لا وعي غوما موازياً للخرف في عمره الزمني، ففي عنفوان الشباب كان يصعد الجبل ثم بدأ يدخل المغارة في نفسية كئيبة مريضة ثم ليصبح مرضه النفسي هذا ظاهراً معروفاً تلوكه ألسنة الناس في وادي الآجال.

ولعلّ من أسباب ظهور هذا المرض على السطح كبح غوما له بشدة الأمر الذي جعله يتفلت منه شيئاً فشيئاً طافياً على السطح[1].

وهذا لا يعني أنّ غوما كان لا يحب أن يستحضر عقله الباطن على ما فيه من ألم ويفرح بمقدمه.

يقول الكوني:

(فرح بمجيئه. لم يحاول أن يخفي سعادته فتقافز هنا وهنا وهناك ظاناً أنه يقوم بطقوس الضيافة)[2].

إلاّ أن هذه الحالة المرضية في لاوعيه بدأت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم إلى أن تحولت مع الأيام إلى حالة خطيرة وعنيفة استطاعت في غفلة من غوما أن تقترف جريمة قتل رفضها غوما واستنكرها حال رجوعه إلى وعيه مباشرة.

---

1) انظر إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوف، ص105ـ109، ص222.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوف، ص258.

يقول الكوني ناقلاً الحوار الذي جرى بين غوما ولا وعيه آجار:

(اعلم إذن أني نفذت عدالتي استدرجته وطعنته في صدره بهذه المدية التباوية ...

قطعته وأطعمته لألسنة اللهب وجلست أتفرج على أطرافه في النار حتى استحال إلى فحم تذكرت ما فعلته ألسنة اللهب بجسد تازيات فعزّاني المشهد وهوّن علي قلبي المحروق. هيء — هيء هي تابعه الشيخ طوال الوقت دون أن يبدو أنه فهم.

ثم قفز واقفاً فجأة وهتف: ماذا تقصد؟ ماذا تريد أن تقول؟ من الذي قطعت أطرافه وحشوته في النار؟)[1].

أولا: بلغ آجار ـ لا وعي غوما ـ ذروة سعادته في الزمن الذي قتل فيه موري بالمدية إلاّ أنه زيادة في التشفّي أطعمه للنار محاولاً تطويل مدة نشوته ما أمكنه ذلك.

ثانيا: هذا الاستنكار من جانب غوما يدلّ على أن لا وعيه لم يسيطر عليه تماماً وأن الفراغ بين وعيه ولا وعيه من جهة وبين الخير والشر من جهة ثانية مازال قائماً وإن انتصر اللاوعي وجانب الشر فيه فاقترف هذه الجريمة إلاّ أنه بعودته إلى وعيه استنكر ما صنعت

---

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوف، ص262.

يداه وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أن لا وعيه بدأ يطفو على سلوكه وتصرّفاته فيقترف الجريمة ويحاول تبريرها.

ومن جملة المبرّرات التي ساقها لا وعيه لإقناعه قوله:

أ- (ومـاذا يفـزعك يـا شـيخنا؟ هل في تنفيذ القصاص ما يفزع)[1].

ب- (كـان يجـب أن تتوقع ذلك. لم أنتقم لنفسي فقط ولكن لغـري ولكنوز الوادي المنهوبة. انتقمت لحكمدارك أيضاً. دماء الأبرياء لا ينبغي أن تسفح هدراً)[2].

هـذه المحاولة الإقناعية من لا وعي غوما لوعيه لا يبدو أنها آتت أكـلها مما جعل هناك مسرباً لمواصلة الحوار مصحوباً بألم الضمير في شكل تقريع وتوبيخ.

يقول الكوني على لسان غوما:

(من الذي فوّضك بأن تنتقم لهم؟ من الذي يؤكّد لك أن موري مذنـب؟ وحتى لو كان مذنباً فكيف سمحت لنفسك بأن تعاقبه بهذه الطـريقة البشـعة؟ ألا تـرى بأنك مجرم عادي؟ ألا ترى بأنّ يداك

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوف، ص262.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوف، ص263.

ملوثتان بالدماء كأي مجرم)[1].

وهكذا ظلّ الحوار بينه وبين لا وعيه قائماً كل يأتي بدليله ويحتجّ بحجـته فما زاد أحدهما على غيره في الطنبور رنة ـ كما يقال ـ وهـنا برز العامل الديني عسى أن يرجح كفة غوما على لا وعيه إلاّ أنهما اتفقا أخيراً على أن لا عدل في اليوم الآخر ومن ثم على الإنسان أن يأخذ حقه بيده[2].

هـذا وقد ركّز الكوني في كل هذه الحوارات على أن يجعل من عقـل غوما الواعي ممثلاً المجتمع بكل ما فيه من عرف وتقاليد ودين وقـانون وشرطة وقضاء وسجن وغير ذلك، كما جعل لاوعي غوما يمثل غوما شخصياً بما عنده من عقد ومعارف وخبرات اكتسبها على مراحل حياته إلاّ أن التركيز على الجانب الديني في الحوار كان أكثر من غيره مما جعلنا نتسائل:

لماذا آثر الكوني أن يركّز على الجانب الديني في حوار الجريمة دون سواه ثم دحض هذا الجانب أيضاً؟

لعلّ الإجابة في أنّ غوما لا يعترف للواحة بشيء لا وجود له في

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوف، ص263.

2) انظـر إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوف، ص258. وأيضاً انظر الجانب الديني من هذا البحث فيما يخص يوم الحساب.

عالمــه الصحراوي ففي الصحراء لا شرطة ولا قضاء ولا سجن بل أعــراف وتقاليد تحكم سير الحياة داخل القبيلة. أما الدين فضعيف واهــن في تكوين العلاقات بين أفراد القبيلة وما بروزه في الحوار إلا لكون غوما أخذ قسطاً وافراً منه إبان إقامته في الواحات أيام رحلاته الأول.

لــذا لم يعرّض الكوني غوما للمسائلة أمام القضاء أو القبض عليه مــن قبل الشرطة أو سجنه أو حتى توقيفه. لا في هذه الجريمة ولا في غيرها كضربه للناس بالسوط وإهانته لغيره، إلى غير ذلك من الأفعال الــتي تستوجب على أقلّ تقدير تقريعه وتوبيخه، ومن ثم قتله موري انتقاماً لابنه الذي قُتل على يد أحد القنّاصة الطليان في معركة محروقة جائز بحسب العرف البدوي الذي يخلد المثل القائل:

(كان خداك البدوي خد بن عمه).

وهذا ما يناقض الآية الكريمة التي أوردها الكوني على لسان غوما في قوله:

(أنــت خالفت بفعلتك أقوى مبدأ في القرآن **﴿لا تزر وازرةٌ وزر أخــرى﴾** ، أتذكر الآية العظيمة، لماذا على موري أن يدفع إثم اقترفه

بورديللو منذ ثلاثين عاماً)[1].

ولكن أين كانت هذه الآية غائبة في وعي غوما الذي مكن المثل مــن الانتصار على الآية، كما مكّن عرفهم الصحراوي من الانتصار على أعراف أهل الواحة الذين لا يؤمنون بالثأر أصلاً.

وبازديــاد حالــة الشيخ غوما سوءاً بدأت شخصية الإنسان غير السويّ هي الغالبة على سلوكه وتصرّفاته.

يقول الكوني:

(مال القطيعي نحو الشيخ وقال بصوت هامس:

كنــت أعرف أن الأمور ستنتهي بما انتهت إليه ... تحدّي الجن ليس أمراً هيناً ... الجن وحده مسئول عن مصير موري ومغرى!

أطلــق آجار ضحكة عالية. سدّد له غوما نظرة استنكار ثم نهض فجأة)[2].

وكــأن هذه الضحكة العالية باغتت غوما فلم يستطع منعها من الخروج من بين شفتيه لأنّ هذا الفلاح المسكين ظنّ أن الجن هم من قــتل مــوري، لذا خنق ضحكته في حلقه مستنكراً على نفسه ذلك

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص264.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص269.

ونهـض فجأة ليواري وجهه عن محدّثه ــ القطيعي ــ حتى لا يشك فيه ويكشف سره.

وكأنّي بهذه الحادثة هي بداية تحول حالة غوما من المرض النفسي إلى المـرض العقلي (الخبل) لأنّ وعيه الباطن بدأ يطفو على السطح مطالباً بالاعتراف للناس بأنه قاتل موري.

يقول الكوني في محاورة تقريعية بين غوما ولا وعيه آجار:

(لمـاذا لم تقـل الحقيقة للقطيعي؟ لماذا لم تخبره بأني قاتل؟ أنت تسمح له بترديد التهم ضدّ الجن وهو منها بريء. الجن هذه المرة لم يحـرك سـاكناً. أنا الجن هذه المرة! هيا. قل لهم الحق. قل لهم أني مجـرم ــ هاـهاـهـا ... الجريمة يرتكبها الإنس ويعلقها في رقبة الجن)[1].

لعـلّ هـذه هـي المرة الأولى التي يشعر فيها غوما أنه يعيش في شخصـيتين تتقاسمانه إحداهما عابثة صارمة قاتلة تريد أن تطفو على السـطح وتقـود العقـل الواعي وتخبر الناس بما صنعت وهي نفس اللحظة التي ينتقل فيها غوما من حالة المرض النفسي إلى حالة الخبل أو ما يسمى باللوثة العقلية فيصرّح بكل ما فعله في السرّ بدءاً من قتله

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص269.

لموري إلى كل ما ارتكبه ثم حجبه عن الناس وقد يضيف إليه أشياء لم يفعـلها زيادة في التشفي من قبل الشخصية المنتصرة على الشخصية المهزومة في ذاته.

إلاّ أن غوما ظل يصارع ويصارع هارباً من داخله الذي يلحّ عليه بالاعـتراف دون جـدوى محتمـياً بالـناس لعله يجد في ذلك أمناً وطمأنينة.

يقول الكوني:

(أسـرع الشيخ في مشيته. ترنّح عدة مرات وفقد توازنه قبل أن تبتلعه زحمة البائعين داخل جدران السوق)[1].

ويبدو أنّ عامة الناس قد لاحظوا ما يعانيه ويكابده من صراع مع نفسه الأمر الذي دفع أحدهم إلى أن يعلق على حالته بقوله:

(هز بعض المتجمعين المتزاحمين رؤوسهم.

قـال أحد الشيوخ: الرجل تدروش تماماً ... أيده بعض الوجهاء بهزّات من رؤوسهم)[2].

هذا وقد درج غوما عند التخلص من لا وعيه أن يضحي بكل ما

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص270.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص270.

يربطه بذلك اللاوعي تماماً كما فعل عندما تخلص من (مهمدو) فقد تخلص من الذهب الذي ربطه به فلم يعد ذلك اللاوعي ثانيةً وانتقل تبعاً لذلك إلى لا وعي جديد متمثلاً في (آجار) ومن ثم بات عليه أن يضحّي بكل ما يربطه بآجار إذا أراد التخلّص منه. وفعلاً هذا ما فعل. فبعد انتحار آجار أبقى غوما على المعزة وهي كل ما يربطه به لذا عاد إليه لا وعيه من جديد فاضطر غوما للتضحية بالمعزة، وبتخلصه منها تخلص بكل ما يربطه بآجار إلاّ أن الداء الذي خلفاه (مهمدو وآجار) كان أشد من أن يحتمله، وإن كان السبب الرئيس والأول في محنته كلها هو هجرته من موطنه في الصحراء إلى واحة (ادرار) فبسببها عانى أوهاماً كثيرة صارت مع الأيام حقائق ثابتة كغيابه داخل مدن وهمية كان يرسمها على صفحة الأرض تبدأ معها أسراب ذباب وجيوش نمل في مهاجمته فاتحة أمامه أبواباً سحرية يلج منها إلى داخل مدن أسطورية، هذه النوبة بدأت تنتابه عقب نزوحه إلى الواحة مباشرة.

يقول الكوني:

(متى احترف الشيخ غوما الغياب في تلك المدن؟ متى بدأت أسراب الذباب وجيوش النمل الوهمية تهاجمه وتفتح أمامه الأبواب السحرية إلى تلك المدن الأسطورية؟ الشيخ آهر يؤكّد أنه لاحظ على

الشيخ حالات الوجوم بعد نزول ادرار مباشرة. ويضيف أنّ الشيخ غوما لم يوغل في وجومه إلاّ في الأيام الأخيرة التي سبقت غرق الواحة المنكوبة)[1].

ولعلّ ما زاد في هذا الغياب وذكّاه كان إفراط الشيخ غوما ورغبته في استدعاء أحلام اليقظة مع كثرة وجومه وهما السببان الرئيسان والمباشران في فقدان الشيخ غوما الإحساس والشعور بما حوله وبالزمن الآني الذي يعيشه فلا يشعر معهما بتعب ولا نصب إبان استغراقه فيهما خاصة عندما تكون درجة الاستغراق عميقة جداً فيكون عندها غائباً عن ذاته في ذاته، وهذا ما حدث لغوما فعلياً أثناء غيابه داخل مدنه الأسطورية.

يقول الكوني معللاً:

(واصل الشيخ طريقه نحو الوادي ... انقضى اليوم الثالث ولم يسعفه الحظ بسيارة واحدة متجهة إلى عاصمة الواحات ... لو كان مهمدو حيا لما صدق أبداً أن الشيخوخة سمحت له بأن يقطع كل هذه المسافة. الحق أنه لم يكن ليثق في قدرته على قطعها لو فعل ذلك حتى من باب التحدّي وتنفيذ البرهان. ولكن الأمل الأكيد في العثور على سيارة عابرة هو الذي شجّعه على المضي في الطريق ... الأرق

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص23.

ساعد أيضاً في قطع المسافة فاستغلّ تلك الساعات الليلية الأليمة التي تعـوّد أن يعاند فيها هذا العدو واستثمرها في المشي فقصرت المسافة إلى الضعف. ليس الأرق وحده علامة الشيخوخة ـ كما يؤكّد ـ مهمدو ـ ولكن الوجوم. الوجوم الذي يهجم فجأة ويحصنه داخل نفسه. ويختطفه على جناح الريح ليعبر به حدود الزمان والمكان ويجد الـبوابة السحرية تفتح أبوابها في وجهه ليدخل إلى مدنه الأسطورية البديعة)[1].

ولكن كيف كان يسير غوما في الاتجاه الصحيح وهو غائب عن الزمان والمكان؟

لا شـكّ أنه كان يسير بالحدس قاطعاً مساحات شاسعة دون أن يـدري بها وبما حوله من مناظر الطبيعة، ذلك لأنّها منقوشة في عقله الباطن.

ولكـن لـو حدث ومرّت سيارة بجانبه فإنه سيصحو من حلمه الجميل ويعود لوعيه بذاته أولاً ثم لوعيه بما حوله ثانياً وهذا ما أسماه الكوني بالوجوم أي بالاستغراق في الذات بعمق. وهو ما نشبهه نحن بما يحدث للشاعر أثناء عملية المخاض الشعري.

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص47.

ولكن هذا الوجوم والعزلة وأحلام اليقظة والمدن الوهمية وخيالاتها كلها تصبح ظاهرة مرضية إذا اقترنت بقناعة الشخص الذي يعيشها بـأن هذه الخيالات من صنع الجن ووحيهم. لذا فإننا نعدّ شخصية غوما شخصية مريضة. وإن لم تكن في البداية كذلك.

يقول الكوني على لسان غوما:

(الإنســان جاء إلى الدنيا وحيداً، بائساً، عارياً، من قوقعة الأم، ويغادرهــا وحيداً بائساً عارياً إلى قوقعة القبر. فلماذا يستنكر الشيخ آهر في تلميحاته وإيحاءاته أن يتقوقع داخل نفسه ويعاني وحدته طالما كانـت الوحدة مصير الإنسان سواء عند الأزل وسواء عند الزوال؟ لـماذا يريد هذا الغشيم أن يحرمه من متعة تفتقد بلاد الله الواسعة حتى لو كانت وهمية من صنع الجن؟)[1].

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص49.

الضوء الثاني

المفهوم الديني
في
رباعية الكوني

الجانب الديني

تذبـــذب المفهـــوم الديني عند الكوني ــ في هذه الرواية ــ بين تلمـــيح وتصريح معتمداً في ذلك على ذكاء القارئ وفطنته ــ فمثلاً ــ عـــند قوله: أن الصلاة تراتيل صوفية وثنية حزينة، يصل إلى هذه النتيجة عن طريق عرضها على شكل قضية غير معقّدة التراكيب.

يقول الكوني:

(دقت الطبول ولامست الأنامل الرقيقة أوتار الموسيقى، ارتفعت الحـــناجر بغناء جماعي كتراتيل وثنية. ... استمر الغناء حزيناً صوفياً كالصلاة)[1].

فمتى كانت الصلاة تراتيل وثنية أو غناءً صوفياً حزيناً!

إنّـــه أمـــر أراده الكوني، فصبر جميل، ولعل التعليق يكون أجدى عندما يقف القارئ على جملة أكبر من أمثال هذه التعليقات المنثورة في ثنايا الرباعية.

ومن العجيب أن يقع الكوني في عدم فهم أبسط القواعد الفقهية

---

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف - البئر، ط 1، ت 1989، بيروت، ص7.

في نحو قوله أنّ بصلاة الجنازة ركوع[1] جاء ذلك على لسان غوما الذي قدّمه الكوني على أنه أعلم أهل قبيلته بأمور الدين.

يقول الكوني:

(أشهد على هذا الرجل يا شيخ آهر. يريدني أن أصلّي على رجل رفع يده وأنهى حياة وهبها الله له. تعاليم الدين واضحة في هذا الأمر. إذا شئتم مخالفة التعاليم فهذا شأنكم، أما أنا فلن أصلي ركعة واحدة)[2].

هذا ويبدو أنّ الصلاة ليست بذات قيمة عند الشخوص المعول عليهم في الرواية — كما يقدمهم الكوني — فمثلاً: عند حديثه عن أحد الفرسان الذين شاركوا في معركة غات.

يقول الكوني:

1) انظر: أ— أحمد بن محمد الصابوني المالكي، بُلغة السالك لأقرب المسالك، ط لاتوجد، 1952م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج1، ص197م.
ب— أبوزكريا محي الدين يحيى النووي، نُزهة المتقين شرح رياض الصالحين، تأليف مصطفى سعيد الخن، وآخرون، ط العشرون، ت 1992م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، ص618، 619.
جـ— عبدالرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، ط لا توجد، ت لا توجد، دار الفكر، بيروت، ج1، ص517.
2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص193.

(ولم يغادر غات متجهاً مع المحاربين إلى البيوت إلاّ بعد أن أتمّ ترديده على العجوز الوقور بحفظ آية الكرسي مضافاً إليها سورة الفاتحة أيضاً)[1].

قول كهذا يجعلنا نتساءل في حيرة بأي قرآن كان هذا الفارس يصلّي إذا كان لا يحفظ سورة الفاتحة التي هي شرط أساسي لكل صلاة[2].

قال صلى الله عليه وسلم:

(صلاة لم يُقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج)[3].

فضلاً عن أن هذه الشخوص التي كانت تعيش بالقرب من بئر أطلنطس لم يرد في الرواية أنها صلت جماعة أو اتخذت مسجداً ولا حتى تداولت فيما بينها هذه المفردات:

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ط1، ت1989، بيروت، ص42.
2) أ— انظر أحمد بن محمد الصاوي، بُلغة السالك لأقرب المسالك، ط لا توجد، ت 1952، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج1، ص112—114.
ب— انظر الإمام مالك، الموطأ، ط2، ت1990م، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ص75.
جـ— عبدالرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، ج1، ص229.
3) صحيح مسلم، ج1، كتاب الصلاة، ص297.

(مؤذن، إمام، قرآن، جامع، فقيه).

وإن كثر دورانها على ألسنة أهل الواحة في ذات الرواية.

أمـــا القـــرآن فقُدم على شكل مصحف مشفوعاً بنعوت لا تليق بكتاب مقدّس، كقول الكوني واصفاً مصحف إمام الواحة:

(أخرج مصحفاً منـــزوع الغلاف متآكل الأطراف)[1].

فإذا كان هذا شكل مصحف الإمام فما أشكال المصاحف الأخر! والمصحف عند الكوني غير مقصور على القرآن؛ بل يتعدّاه، فللعادات مصحف، وللممنوعات مصحف.

يقول الكوني:

(لكـــزه أقـــرب جليس وأعادوا على رأسه قراءة الممنوعات من (لايجوز) و(من العار ..) أو (من العيب) أو (إيّاك) .. الخ.. هذا آخر مصـــحف العادات التي تقتضي أن يخرس ويجلس ساكناً عن الحركة كالصنم)[2].

فالعـــادات لهـــا مصحف، والتقاليد لها مصحف، والممنوعات لها

1) إبراهيـم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني. ط1. ت 1989م، بيروت، ص42.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ط1، ت1989م، بيروت، ص142.

مصحف، والقرآن له مصحف.

ويزيدك عجباً أنّ القرآن في هذه الرباعية لا يستخدم إلا للشعوذة أو للقراءة على الجيَف وحطام الأشياء.

يقول في ذلك الكوني:

(قـــرأ الفاتحة أيضاً على أرواح كلّ الشهداء بداية بنخلته الهيفاء ونهاية بأخته الزنجية مروراً بكلبه المخلص النبيل)[1].

أليس في هذا استخفافاً بمشاعر المسلمين أن تُقرأ الفاتحة على جيفة كلـــب وحُطام نخلة؛ بعد أن يرفعا إلى مقام الشهداء، وما أدراك ما مقام الشهداء، إنّه مقام عظيم.

يقول الله تعالى:

﴿وَلاَ تَحْسَــبَنَّ الَّذِيــنَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [2].

وقال ﷺ في الثواب الذي يجده الشهيد:

عن أنس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال:

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ص69.

2) سورة آل عمران، آية: 169.

(ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)[1].

هذا ويكثر استخدام القرآن لغرض الشعوذة؛ خاصة آية الكرسي التي يرى فيها أخطر آية في القرآن، لذا فهي حكر على التقاة والسحرة المتخصصين في السيطرة على الجان، ويمنع تعليمها لحديثي الدخول في الإسلام.

يقول الكوني:

(... فاعترض مختار الساطور وأصرّ على أهمية سورة التوحيد بالنسبة لأمثاله الداخلين في الإسلام الحديثي العهد باعتناقهم لدين الحق. وبرّر ذلك بسببين اثنين: أولهما: يرجع إلى مضمون السورة الذي يدحض تصوّرات النصارى وخرافات المجوس حول تعدّد الآلهة، وثانيهما: وقائي. فربّما خطر ببال هذا الداهية أن يتراجع في إيمانه بمجرد أن يقضي وطره من زهرة ويعود إلى دينه القديم مسلحاً بأخطر

1) أ ــ أبوزكريا محي الدين يحيى النووي، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ط العشرون، ت 1992م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج2، ص158.
ب ــ انظر أيضاً، الإمام مالك، الموطأ، ط الأولى، ت 1984م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص235.

آية في القرآن الكريم تعتبر حكراً على التقاة والسحرة المتخصصين في مصارعة فريق الكفرة من الجان)[1].

ولا بأس من إضافة بعض المقاطع الأخَر للتأكيد على ما ذهبنا إليه.

يقول الكوني:

(يلزمك أن تحفظ آية الكرسي وتبحث في بيتك عن صرّة مخبأة بإحكام في ركن ما، اقرأ عليها الآية سبع مرات قبل أن تحرقها)[2].

ويقول في موضع آخر:

(قرأ الآيات بصوت مسموع وهو يترنّح يميناً ويساراً، وعندما انتهى أخرج حفنةً أخرى من البخور تحسسها بخياشيمه بنفس الحركة التي تذكر آجار بتيس الماعز ثم رشّ البخور في المبخرة، ختم تعاويذه بآية الكرسي وأعاد المصحف إلى جيبه)[3].

ويقول أيضاً:

(ركن إلى ربوة وطفق يقرأ التعاويذ ويردّد الأوراد ويقطع أوصال

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ص48ـ49.
2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ص42.
3) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص175.

آية الكرسي مخاطباً أقوى المَرَدَة حتى مطلع الفجر)[1].

فهل يُفهم من كل ما سبق غير استخدام شخوص رباعيته للقرآن وخاصــــة آية الكرسي لغرض الشعوذة. وهو الذي لا يرى في القرآن غير الضوضاء والتراتيل الصوفية الحزينة.

يقول:

(برغم أن مكبر الصوت نفخ في صوت المتحدّث وضخمه؛ إلاّ أن ضوضاء التراتيل ابتلعت النداء فلم يسمعه أحد)[2].

ويقول:

(... انكفــئوا على كتب القرآن ولحنوا الآيات الكريمة في تراتيل صوفية حزينة)[3].

وقــد يزيد الكوني عن طريق شخوص رباعيته على ذلك فيجعله ضجةً ولغطاً فوضوياً.

يقول الكوني:

(حمد الشيخ الله أن أحداً من الحاضرين لم يسمع هذا الهذيان، لأنّ

---

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ص107.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص316.

3) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان، ص118.

ضجة المقرئين الذين تقرفصوا في جلستهم ووضع كل منهم المصحف في حجـــره وشـــرع يتمايل يميناً ويساراً مع الترتيل الجماعي للسور والآيات، لما كان كل منهم يقرأ في حزب يختلف عن الحزب المحاور فــإنّ التلاوة تحولت إلى نوع غريب من اللغط الفوضوي الذي يبتلع كل الأصوات الأخرى التي تتحدث بلغة عادية)[1].

أمـــا الله في هذه الرباعية فليس أحسن حالاً من الصلاة والقرآن فهو غير رحيم وغير عادل وضيق الأفق وإرهابي.

يقدم الكوني كل النعوت السابقة على شكل استفهام استنكاري.

فيقول مثلاً:

(لمــاذا لا يرقّ قلب الله ويرحم الصحاري الجنوبية بالأمطار أيضاً ولــو مرة واحدة في العام؟ لماذا لا تسود عدالته كل الدنيا وتتجاوز شريط الساحل ومناطق الحمادة الحمراء)[2].

وإجابة للسؤالين السابقين.

يقول الله تعالى:

﴿وَلَــوْ بَسَــطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا

---

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ص159.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص156.

يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (1).

ففي الفقرة السابقة يتضّح بما لا يدعو مجالاً للشك تلكم الصفات التي يرفضها أي بشر أن تطلق عليه ناهيك بربّ البشر؛ إلاّ أن الكوني الـــذي عوّد شخوص روايته على الخوض في مثل هذه المسائل لا يجد غضاضةً من وصف الله بعدم العدل صراحة.

يقول الكوني على لسان آجار:

(إلى متى يا ربي نظلّ نعاني من فقدان التوازن وغياب الاعتدال؟ في كل شيء حتى في الجوّ إما أن نصلى في نار جهنّم أو نجمد من الصقيع. هذا ليس عدلاً!) (2).

وإذا كـــان البشـــر يقعون في الحيرة ولا يستطيعون اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب في كثير من شئون حياتهم لأنهم بشر فإنّ الله أيضاً ــ في هذه الرواية ــ يقع في الحيرة ولا يعرف ماذا يفعل.

يقول الكوني على لسان غوما:

(هؤلاء الشياطين هم يشدّون والآخرون يجذبون. المخلصون من عـــباده يتدافعون في المساجد للاشتراك في صلاة الاستسقاء، وهؤلاء

1) قرآن كريم، سورة الشورى، آية:27.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص258.

الكفـــرة يعـــدون الســـماء بالنذور وينحرون القرابين حتى وقع الله سبحانه في الحيرة)(1).

فتعالى الله سبحانه، ولا نقول إلاّ ما قاله تعالى:

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾(2).

ومـــن التطاول على الذات العليّة ومحاولة هزّ صورته بأنه يمارس الإرهاب في الجحيم قول الكوني:

(في اليوم التالي غادر الواحة، تركه يواجه مصيره وحيداً، في الدنيا القبيحة ويفكر في الإرهاب الذي ينتظره في الجحيم)(3).

فهل يوجد إرهاب في الجحيم أولاً؟

ثم مـــن الـــذي يقوم بالإرهاب غير الإرهابي سواء أكان ذلك في الجحيم أم في غير الجحيم؟

ثم ألا يعـــني هذا أنّ الله من وجهة النظر هذه سادي يتمتع بآلام الآخرين؟

فـــإذا أضـــفنا إلى ذلك قول الكوني بأن البشر دُمى في يد الخالق

1) الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص74.

2) الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص189.

3) الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص189.

بقوله:

(كلنا دُمى في يد أحد ما. أنت دمية وأنا دمية ووزير الداخلية دمية. كلنا دمى، ومن لم يكن دمية في يد العبد كان دمية في يد الخالق)[1].

يتضح لنا محاولة ترسيخ مبدأ الجرأة على الله بين الناس وجعل الله شيئاً منفراً غير مرغوب فيه، فهو لاه عابث يكتنفه كل ما يكتنف البشر من أخطاء.

وقد نبهنا الله في محكم التنزيل إلى أمثال هذه الأقاويل التي هي في حقيقتها ليست وليدة اليوم بل تتردد على ألسنة غير الأسوياء من البشر منذ أمد بعيد، وقد أجاب القرآن عن بعضها.

قال تعالى:

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[2].

وقال أيضاً:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[3].

---

1) الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص248.
2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ص140.
3) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ص140.

والله أيضاً بالإمكان أن يُضحك عليه ويُسرق منه. يقول الكوني:

(وهذا المعلم الثاني يُدعى أناسباغور وهو نفسه ذلك الشيطان الرجيم الذي انتزع الشهرة عن جدارة وذاع صيته ليس في تمبكتو وحدها أو الواحة التي عرفته من خلال متابعتها لأخبار مهمدو — وإنما في الصحراء كلها بسبب تلك المعجزة التي حققها عندما غافل الذات الإلهية وسرق ثلاثة أيام — وفي رواية أخرى ثلاثة أسابيع — عاشها زيادة فوق العمر المكتوب له أن يحياه)[1].

ولا يتوقف الكوني عن طريق شخوص روايته عند حدّ جعل الله يُضحك عليه ويُسرق من خزانة الأعمار ثلاثة أيام أو ثلاثة أسابيع، بل "يزيد الطين بلة" — كما يقال — فيسرد لنا الطريقة التي استطاع بها أناسباغور الضحك على الله وسرقته واقعاً في مغالطات نفندها بعد إيراد نصّه.

يقول الكوني:

(أمّا كيف استطاع أن يتوصل إلى هذا السرّ الإلهي الذي يتوق كافة البشر إلى معرفته، برغم أضراره الجسيمة الناجمة عن إدراك ميعاد الأجل فينهى القرآن عن ذلك في قوله تعالى **﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾**.

---

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ص140.

فهـــذا سرّ آخر لا يعلمه إلا أناسباغور الموهوب. وتفيد أسطورة تـــرددت كـــثيراً تؤكّد أنّ أناسباغور هذا قد لجأ إلى الحيلة في تحقيق هـــدف الخلود فاستطاع أن يطعم الجمل البارك بجوار البيت برسيماً مخـــدّراً كي يمر من تحت رقبته الطويلة وهو نائم. فحقق ما عجز عن تحقـــيقه السابقون من المتعطشين للخلود، وكذلك اللاحقون حيث أشار الأولون في "كتاب الحكمة" إلى أنّ الله قد وضع شرطاً تعجيزياً في الظفر بالخلود وهو المرور من تحت رقبة الجمل أثناء خلوده للراحة دون أن يصـــحو من إغفاءته ويرفع رقبته الطويل. وأدرك الناس من قـــديم الـــزمان استحالة تنفيذ هذا الشرط فاستسلموا لليأس وقنعوا بمصيرهم البائس ككل المخلوقات الزاحفة نحو الزوال.

وفي قـــول آخـــر أنّ أناسباغور كان أذكى من أن يلجأ لتخدير الحـــيوان بالبرسيم لأنّ هذه حيلة مبتذلة تصلح لخداع الأطفال وليس للقوى الخفية العظمى التي تسيطر على مصير البشر. ولكنه فعل ذلك بمساعدة موهبته في استعمال السحر الأسود برغم إجماع كل السحرة في كـــل الصحراء الكبرى، عبر مختلف العصور، عن عجز السحر في جعـــل الجمل الراقد يغفل عن مجرد اقتراب الإنسان، فكيف بالمرور تحت رقبة هذا الحيوان)[1].

ولدحض المغالطات التي جاء بها في الفقرة السابقة نقول:

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ص140.

أ) قوله: (ينهى القرآن عن ذلك في قوله تعالى ﴿**وَعَسَى أَن تَكْـــرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾. فهذا سر لا يعلمه إلا أناسباغور الموهوب).

فبالرجوع إلى بعض كتب التفسير وجدنا أن لا علاقة لأحد اسمه أناسباغور بهذا النصّ القرآني، وأن ما أورده الكوني إنما هو جزء من آية (216) من سورة البقرة التي يقول الله تعالى فيها:

﴿**كُتِـــبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَـــيْرٌ لَّكُـــمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[1].

عـــلماً بأن الآية السابقة وردت في الجهاد في سبيل الله، كما هو واضح وليس كما زعم الكوني[2].

1) قرآن كريم، سورة البقرة، آية رقم (216).

2) انظـــر أ) أبـــو أحمد محمد ابن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ط لا توجد، ت لا توجد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ص39.

ب) انظـــر أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط لا توجد، ت 1988، دار الفكر، بيروت، ج2، ص345.

ج) انظر محمد الرازي فخر الدين، تفسير الرازي، ط الأولى، ت 1981، دار الفكر، بيروت، ج6، ص128.

د) الزمخشري، الكشاف، ط لا توجد، ت لا توجد، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ص258.

ب) قولـه: (حيث أشار الأوّلون في "كتاب الحكمة" إلى أنّ الله قد وضع شرطاً تعجيزياً).

فمن هو مؤلف هذا الكتاب؟

وما رقم الصفحة الموجود بها هذا الخبر؟

ج) قولـه: (تصلح لخداع الأطفال وليس للقوى الخفية العظمى التي تسيطر على مصير البشر).

فهل هناك قوى خفية عظمى تسيطر على مصير البشر غير الله!

ثم هل يخدع الله من قِبل أحد بالسحر الأسود أو بغيره؟

د) اقـتران هذه الأسطورة بالقرآن لجعلها حقيقة طريق يُفضي إلى أحد أمرين:

إمـا أنّ القرآن أسطورة، وإما أن أناسباغور حقيقة ثابتة موجودة ضمن القصص القرآني، وهو ما لم نجده في كتب التفسير.

ه) قوله: (غافل الذات الإلهية).

وقولـه ينهى القرآن عن ذلك في قوله تعالى **﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾**.

وقوله (حيث أشار الأوّلون في "كتاب الحكمة" إلى أن الله ...).

كل العبارات السابقة تدلّ على أنّ المقصود هو إله واحد لا آلهة متعدّدة، ولكن الكوني على نفس الصفحة وفي ذات الموضوع يقول:

(... وليس للقوى الخفية التي تسيطر على مصير البشر).

أليس هذا تذبذباً في مفهوم الله عند الكوني!؟ فمرةً الله ومرة قوى خفية.

هـذا وتعمّـد الكوني التشويش على ذهن القارئ بتقديم حقائق مغلّفة بمغالطات تعمدها لتشويه الصورة الحقيقية لبعض الرسل، ومن ثم الطعن فيهم.

يقـول الكوني على لسان غوما بطل روايته مخاطباً ذاته المتمثلة في آجار:

(لمـاذا لا تضحي بالمعزة؟ يفضل في تقديم القرابين أن تضحي بما تملك عندما يكون وحيداً. هذا هو سرّ القرابين الأوّل. النبي إبراهيم حـاول أن يضـحي بابنه إسماعيل عندما لم يجد ما يضحي به لولا تدخل الملائكة في آخر لحظة)[1].

يمكننا الردّ على الفقرة السابقة في أربع نقاط:

أ) إن مقابلة الله بتانس والمعزة بإسماعيل في الرواية أمر فيه سوء

---

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص134.

أدب وسوء منقلب مع الله ومع أنبيائه.

ب) قول الكوني: (حاول أن يضحي بابنه).

هـــذه الفقرة تدلّ على أن إبراهيم عليه السلام قام بمجرّد محاولة بيـــنما القـــرآن يحكي لنا أنه أمرٌ تلقّاه في رؤية منامية واجبة التنفيذ فنفّذها.

يقول الله تعالى في ذلك:

﴿فَلَمَّـــا بَلَـــغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُـــرْ مَـــاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

ج) جملة (عندما لم يجد ما يضح به).

الفقـــرة السابقة فيها مغالطة وسوء فهم كبيرين، ولا أعلم كيف اســـتنبطهما أو من أين جاء بهما ليشوّه صورة النبي إبراهيم في أذهان المســـلمين لأنّ الله أمـــره بالنص القرآني أن تكون التضحية بابنه ولا شيء غيره.

يقول تعالى:

---

1) قرآن كريم، سورة الصافات، آية: 102.

﴿فَلَمَّـــا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّـــا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1].

د) جملة (لولا تدخّل الملائكة في آخر لحظة).

فيها مغالطة إيمانية عقائدية، إذ أن الله هو الذي تدخّل لا الملائكة، وما الملائكة إلا وسيلة.

قال تعالى:

﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[2].

وقال أيضاً:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[3].

ولا أعـــتقد أن الكوني ينتظر أن يُنزل الله جلّ شأنه على إبراهيم كبشاً يفدي به إسماعيل، لأنّ الضمير في قوله تعالى:

﴿وَفَدَيْـــنَاهُ بِذِبْـــحٍ عَظِـــيمٍ﴾عائد على الله سبحانه وتعالى لا على

---

1) قرآن كريم، سورة الصافات، آية: 103ـــ107.

2) قرآن كريم، سورة النحل، آية: 2.

3) قرآن كريم، سورة الشورى، آية: 48.

الملائكة.

أمـــا التشكيك في اليوم الآخر وفي عدالة الله فيه فالكوني يطرحه عـــبر شـــخوص الرواية، ويكرّره مرات وكأنه يريد أن يقرّه ويجعله مســـلمة. ومن ذلك قوله في المحاورة التي أجراها بين غوما ولاوعيه آجار، يقول آجار:

(ولمـــاذ أستغفر الله؟ لأني أطالب بحقّي؟ لأني أريد القصاص من معشر الظالمين؟ من سيضمن لي أن يلقَوا الحساب هناك؟ هل تضمن لهم العقاب في اليوم الآخر؟).

هتف الشيخ:

(أنـــا لا أضمن شيئاً، الضمان الوحيد أمام مثل هذه البلاوي هو: الصبر!)[1].

وليؤكّد الكوني هذا المفهوم عند المتلقي نراه يعيد السؤال ذاته عن ضـــمان الحساب في اليوم الآخر وإن اختلفت الألفاظ إلاّ أن المعنى واحد.

يقول الكوني:

(أجـــبني عـــلى سؤال واحد يا شيخ غوما لا تتهرّب! هل هناك

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص260.

حساب في الدنيا الآخرة أم لا؟ ....

لا أحد يستطيع أن يجيبك على هذا السؤال. أنا لم أعد من هناك، لا أحد ذهب وعاد من هناك كي يأتيك بالخبر اليقين)[1].

وآيات الحساب والعقاب في القرآن كثيرة جداً.

قال تعالى:

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[3].

والتشـــكيك في عدالة الله في اليوم الآخر في حقيقتها تشكيك في الـــيوم الآخـــر نفسه. وإذا كان الكوني في العبارة السابقة استخدم طـــريقة الأسئلة والأجوبة، وهي الطريقة التعليمية لنشر فكرة معينة، نـــراه بعدها يقرّ بأنّ لا عدالة في اليوم الآخر بل ظلم وظلام، وعلى كل إنسان أن يأخذ حقه بيده.

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص261.

2) قرآن كريم، سورة الغاشية، آية: 25ـ26.

3) قرآن كريم، سورة الزلزلة، آية: 6ـ8.

يقول الكوني في ذلك:

(أقصد أني لا أريد أن أخدع مرة أخرى. إذا كان لا يوجد في العالم الآخر سوى الظلام وغياب العدالة فإنّ هذا حساب يشمل الطرفين: الظالم والمظلوم. وإذا كانت عدالة البشر غائبة في الدنيا فليس أمامي سوى أن أتولّى الأمر بنفسي)[1].

وبوضع النقاط على الحروف نقول إنّ التشكيك في عدالة الله في اليوم الآخر يقتضي التشكيك في عدالته في الدنيا، وقد لمسنا ذلك عند قول الكوني صراحة أنّ الله غير عادل في توزيعه للأمطار في ليبيا، ومن ثَم فالكتاب المنزّل من الله لا يحقق العدالة، وهذا تحصيل حاصل ففاقد الشيء لا يعطيه. إن كان الله غير عادل فكيف ينزل كتاباً يحقق العدل بين الناس بناءً على هذه المعطيات فإنّ البشر غير ملزمين بتطبيق هذا الكتاب، وقد تكون هذه هي النتيجة غير المنظورة.

ولا يفتأ المؤلف يعلك نفس الكلام بتعابير مختلفة ومن أكثر من شيء عرف به[2] — كما يقال —.

وإذا كان لم ينف وجود اليوم الآخر — وإن نفى وجود العدالة فيه على ألسنة شخوص رباعيته على الأقل — فإنه بطريقة التكرار

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوف، ص261.

2) المصدر السابق، ص261—263.

يحاول مرة أخرى نفي وجود اليوم الآخر.

يقول الكوني:

أ) (أخواد غاب في الأبدية ولن يعود أبداً)[1].

ب) (أخواد لن يتمكّن من حضور أي شيء بعد اليوم؛ وغاب إلى الأبد)[2].

ج) (أدرك بإحساس خفي أنه يودعه إلى الأبد)[3].

لاحظ الجمل الآتية:

1- لن يعود أبداً.

2- غاب في الأبدية.

3- غاب إلى الأبد.

4- يودعه إلى الأبد.

كلها تشير إلى عدم اللقاء؛ خاصة أنه كررها متتابعة وحملها معنى واحداً هو الغياب الأبدي.

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص174.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص174.

3) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص175.

فـإذا التفتـنا صوب الفقهاء وجدنا صورهم مقزّزة منفّرة لكل مسـلم، فمـا بالك بمن هو غير مسلم. فهو يتهمهم بالزنا، وشرب الخمر، والسرقة إلى غير ذلك من النعوت.

يقول الكوني:

(لم يعـد باستطاعة هؤلاء المنافقين الملتحين الناهين عن الفحشاء والمنكر بالنهار المتسلّلين إلى بيتها بالليل وهم يتأبّطون قلل اللاقبي. لم يعد باستطاعتهم أن ينعموا في المستقبل بدفئها وحنانها)[1].

لماذا لا ينعمون بدفئها وحنانها؟

لأنّ هـذه المومس تزوجت من أحد المسيحيين المعتنقين للإسلام حديثا.

ويـنقل الكوني لنا مشاهد دخول هذا المسيحي للإسلام بطريقة منفّرة وقذرة ومقزّزة ومليئة المغالطات.

ومـا أظـنّ إنساناً قرأها ورغب في اعتناق الإسلام بعدها، ولا عجـب فهـو يرى في اعتناق هذا المسيحي للإسلام مسرحية نسج خيوطها الفقهاء وأُجبر كونسا على تمثيلها.

يقول الكوني:

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان، ص51.

(تـردد على بيتها في البداية تمضية للوقت وقتلاً للفراغ، ثم تدخل الزبـرجداني والإمام وفرضا عليه تلك المسرحية التي انتهت بالزواج. أليسـت الحـياة نكتة وعبث إذا كان بوسع الدعابة أن تقلب حياة الإنسان وتغيّرها رأساً على عقب)[1].

إنّ قولـه (أليست الحياة نكتة وعبث) يخالف المفهوم القرآني في قوله تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[2].

ويطيـب للكوني أن يبدأ فصول هذه المسرحية، كما أسماها، يوم الجمعة.

يقول الكوني:

(لـيلة الجمعـة، مـع العشية، بدأت طقوس تطهير كونسا من النجاسـة! الإمام مختار قال أنّ الختان شرط أساسي لاعتناق الإسلام فلم يكن أمام الرقريقي إلا الاستسلام!

حاصـره مختار بين جدران الجامع بحضور الزبرجداني والممرض مسعود وهو يغرقه في زوبعة كثيفة من البخور الكريه الرائحة في حين

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان، ص121، 122.

2) قرآن كريم، سورة المؤمنون، آية: 115.

تجمع لفيف الفقهاء والفضوليين في البهو الخارجي يقرأون القرآن أو يسترقون النظر إلى ما يجري في الداخل من النوافذ المفتوحة أو ينهمكون في تبادل المعلومات عن آخر الفضائح الأخلاقية أو يسردون أخبار الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق . وبرغم قداسة المكان ومهابة الموقف إلاّ أن أحد الفقهاء المعروفين بجرأتهم في تسمية الأشياء بأسمائها مال على أحد المعلمين القادمين من الشمال وباح له بمخاوفه وأضاف الفقيه الجسُور هامساً في أذن المدرّس الشره قائلاً أن ارتباطها بعصمة الرقريقي سوف تجعل الواحة تعاني من الفراغ وهو شخصياً لا يتصور الدنيا بدون زهرة!)[1].

أ) قوله (ليلة الجمعة مع العشية).

جملة غير دقيقة فإما أن تكون ليلة الجمعة أو عشية الجمعة.

ب) قوله على لسان الإمام (إنّ الختان شرط أساسي لاعتناق الإسلام).

أن يصدر هذا الحكم الفقهي على لسان إمام وفقيه أمر يدعو للاستغراب، ذلك أنّ الختان ليس شرطاً أساسياً في اعتناق الإسلام هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنّ المعتنق إذا كان كبيراً لا

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوف الثاني، ص44، 45.

يختن[1].

ج) قوله (بغرقه في زوبعة كثيفة من البخور الكريه الرائحة).

إنه ليس من لوازم الختان الشرعية أو العرفية إغراق المختون بالبخور الطيب الرائحة، ناهيك عن البخور الكريه الرائحة ولكن هذه الجملة كغيرها مما سنرى في عملية الختان جيء بها للتنفير.

د) قوله (يسترقون النظر إلى ما يجري في الداخل عبر النوافذ المفتوحة).

يريد القول أنّ الفقهاء وهم أعلم من غيرهم بالحلال والحرام يتحسسون ليطّلعوا على عورة المختون. فكيف بالعوامّ من المسلمين!

ويزيد الفقهاء سُبة أنهم لا يتورّعون عن الخوض في الفضائح الأخلاقية في حين أن الله يأمرهم بالسماع والإنصات أثناء قراءة القرآن الكريم.

يقول تعالى:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2].

1) أحمد بن محمد الدردير، الشرح الصغير، ط الاخيرة، ت1952م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ج1، ص311، 312.

2) القرآن الكريم، سورة الأعراف، آية: 204.

ه) قوله على لسان أحد الفقهاء (وهو شخصياً لا يتصوّر الدنيا بدون زهرة).

اتّهـام صـريح للفقهاء بالزنا، وإذا كان هؤلاء هم أعلم الناس بـالحلال والحرام وأكثرهم معرفة بالله يفعلون ذلك فما بالك بعوام المسلمين.

ولـيجعل الأمر أكثر بشاعة وتنفيراً قام بنقل حرفي للطريقة التي خُتن بها كونسا.

يقول الكوني:

(أمسـك الإمـام بـالمقص وأمر كونسا أن ينزع سرواله ولكن الرقريقي هزّ رأسه بالرفض كالطفل ... فقال مختار مطمئناً: هذا لن يـؤلم، أنـت لست طفلاً ولست الوحيد الذي أقوم بتطهيره فدعنا ننتهي من عملنا بالله!

ولكـن كونسـا بدأ يرتعد ويغرق في العرق. التفت نحو الباب فعـرف الإمام بخبرته أنّ الداهية ينوي الهرب فهجم عليه وجثم على صـدره بحركة مفاجئة خبيرة. صرخ كونسا حتى سمعه المجتمعون في الخارج وطار صوته حتى وصل النساء المتجمهرات خارج السور ... مضـى وقت قصير بعد ذلك قبل أن يرفع الرقريقي صوته بالسباب واللعنات بكل اللغات التي يعرفها ... خرج كونسا من الجامع محطماً

ممـتقع الوجـه، غائر العينين ملوثاً بالنزيف والدماء يساعده القاضي ويستند في مشيته المضحكة على كتف الممرض مسعود ... وبالطبع لم يـنس مخـتار أن ينال أجره الدنيوي فدسّ يده في جيب كونسا وخطف كل ما وقعت عليه هناك: خمسة جنيهات كاملة. أما أجره الديني فعند الله يوم القيامة!)[1].

ولا أظـنّ أن هـذه الفقـرة تحتاج إلى تعليق كبير فهي واضحة الدلالـة. فالطـريقة التي خُتن بها كونسا لا يفعلها مجرم ناهيك عن فقهـاء وأئمة وإن كانت هناك مغالطة تستوجب منا الوقوف عندها لتوضيحها:

أ) اتهـام الإمـام بالسرقة بعد الختان تدلّ على عدم معرفة من القـاصّ بمـا يحدث عقب الختان مباشرة إذ يهرع الناس إلى المختون يهدونه بعض النقود بوضعها في جيبه ناهيك عن رجل دخل الإسلام. ولكنه أمرٌ أراده الكاتب على هذه الطريقة.

ب) المقص الذي استحضر لغرض الختان فكان نقمة لا رحمة قدمه الكوني بطريقة مقزّزة وبأسلوب عدائي.

يقول الكوني:

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ص46، 47.

(أما المقصّ الأسود الضخم فقد أثار الرعب في نفس كونسا المسكين، ففتح فمه واستنجد بالقاضي دون أن يصدّق على ما يبدو أنّ بالإمكان استعمال مقصّ وحشي كهذا في الختان.

والواقع أنّ الرقريقي على حق. فقد تعددت الأغراض التي تعوّد مختار أن يستعمل فيها هذا المقصّ المخيف بداية بجزّ الأغنام ونهاية بتشذيب اللّحى وتقليم الأظافر وحلق الشعر على رؤوس الأطفال)[1].

أوقع الكوني نفسه نتيجة لتماديه في عملية التهويل والتخويف في بعض المغالطات منها:

أ) أنّ الختان عادة لا يتم إلا بمقصّ حاد مطهّر ومحفوظ عادة، فكيف يكون بمقص مرعب.

ب) جزّ الغنم يحتاج إلى مقصّ كبيرٍ.

ج) تشذيب اللحى يحتاج إلى مقص صغير، اللهم إلا إذا كان الكوني يقصد السخرية من أصحاب اللحى.

د) تقليم الأظافر يحتاج إلى مقصّ صغير جداً أو مقص صغير.

1) المصدر السابق، ص46.

ه) حلق رؤوس الأطفال يحتاج إلى موس وليس إلى مقص.

كل هذه التهويلات والمغالطات لماذا جيء بها يا تُرى!

خاصة إشارته من طرف خفي إلى أنّ الدخول في الإسلام يستوجب الختان والخروج منه يستوجب فصل الرأس عن الجسد. أليست هذه كلمة حقّ أريد بها باطل. وذلك في نحو قوله على لسان الإمام محذراً كونسا من مغبّة الكفر والعودة إلى المسيحية:

يقول الكوني:

(اعلم يا كونسا أنه ليس ثمة ما هو أسهل من الدخول في الإسلام ... ولكن الخروج منه هو الصعب. أتدري ما هي عقوبة الكفر عندنا؟ رفع رأسه ومرر إبهامه على رقبته مشيراً إلى أنّ العقوبة تعني فصل الرأس عن الجسد فانكمش كونسا على نفسه وتمتم ممتقع الوجه:

يا حفيظ!)[1].

1) المصدر السابق، ص42.

الضوء الثالث

المفهوم الاجتماعي
في
رباعية الكوني

الجانب الاجتماعي

مــازال الــنظام الطبقي برغم كل المحاولات والصيحات المطالبة بالتخلّي عنه واقعاً ملموساً محسوساً يظهر بين الفينة والفينة حيّاً باهتاً ويبرز أحياناً صارخاً واضحاً للعيان.

ومــن الغريــب أن الإنسان كلما تقدم خطوة نحو الحضارة كان موضع سخرية من أولئك المتخلفين عن ركبها.

فســخرية الــبدويّ غير المستقر من المزارع المستقرّ معروفة ولا ينكرها أحد، وكذلك سخرية المزارع من العامل صاحب الحرفة ـــ كــالحدادة مثلاً ـــ معروفة أيضاً. وإن كانت حدّتها أقلّ من سابقتها إلاّ أن هــذه المفاهيم بدأت في الزوال بسبب عامل الاستقرار الذي طغى على الجميع، ولكن أن يصل التعصّب في هذا المضمار إلى درجة أن يخلد كاتب مبدع هذه المفاهيم ويذكيها في عمل إبداعي كرباعية الخسوف فهذا أمر يتطلب منا أن نقف عنده ونناقشه فيه.

مــنذ بدايــة الرباعية اجتهد الكوني أن يجعل للصراع الاجتماعي محوريــن أساسيين: بدو وحضر، وإن جعله أكثر عمومية، ذلك أن أحــداث الرباعــية تدور ـــ من الناحية الاجتماعية ـــ من بدايتها وحــتى آخر سطر فيها بين الطوارق أهل الصحراء والفلاحين أهل

الواحـــة. وإن تعفّف الكوني عن ذكر اسم الطوارق في روايته لسبب لا أعـــرفه وإن كانت كل القرائن تشير إليهم دون غيرهم كالأسماء الخاصة بالطوارق والتي لا يشاركهم فيها أحد.

مثل: آهر، أمور، مهمدو، أخواد، أماستان، اخنوخن، وغيرها. وكذلك أسماء قبائلهم مثل:

أ) (امنغســـتان)[1] وهي القبيلة التي ينتمي إليها المؤلّف، والتي جعلها محور ا لرواية.

ب) (كـــيل ابادا) وهي القبيلة التي جعلها أكثر خمولاً والأسوأ سمعـــة وإن لم يـــورد ســـبباً لهذا التجنّي اللهم إلاّ أنها تمارس السحر والشعوذة.

يقول الكوني:

(... لقـــد سحرتك، أنت تعرف (كيل ابادا...) إنهم معروفون بممارسة الشعوذة والسحر. لابدّ أنهم دسوا لك شيئاً في الطعام. لقد أخذوا عقلك) [2] .

وعن سوء سمعة هذه القبيلة يقول الكوني:

---

1) إبراهيم الكوني؛ رباعية الخسوف، البئر، ط1، ت1989م؛ بيروت، ص14.
2) المصدر السابق، ص15.

(لاشـــيء غـــير أن ســـيرة زياراتك لتلك القبيلة السيئة السمعة وسهراتك مع تلك الفتاة الوقحة قد أصبحت على كل لسان)[1].

ج) (تامنغست)[2].

د) [(الهوجار).

ه) (الفوغاس).

و) (أوراغن)[3].]

ويطيب للكوني أحياناً قليلة أن ينعت هذه القبائل بالملثمين جاعلاً مـــن اللثام الطويل الذي يلفّه الطارقي حول رأسه رمزاً له وإن ظلّت كلمة بدوي هي الأكثر دوراناً في رباعيته.

هـــذا وقـــد دأب الكـــوني على تغليب العنصر البدوي من أهل الصـــحراء عـــلى أهـــل الواحة وإن اضطره ذلك إلى إفساد السياق القصصـــي كمـــا يتضـــح ذلك عند دراسة الجانب النقدي من هذا البحث.

فمثلاً لقد قام الكوني بالانتصار لكل ما هو صحراوي أو له علاقة

---

1) المصدر السابق، ص14.
2) المصدر السابق، ص26.
3) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص32.

بالصــــحراء مفضّـــلاً إياه على كل ما هو من الواحة أو له علاقة بها بدايـــةً مـــن البشر وأسماءهم وأخلاقهم ومهنهم وملابسهم وعاداتهم مروراً بالحيوانات وأنواعها وانتهاءً بالأماكن والمواضع.

أولا: الأسماء

أ ــ أسماء شخوص الرباعية

اختار الكوني لشخوص البدو ــ الطوارق ــ أسماء طارقية أصيلة جـــاعلاً لكـــل شخصية اسما واحداً مثل: غوما، واماستان، وآهر، وجبور وآيس، وأخواد، وباتا، وزارا، ومغرى.

أما شخصيات الواحة فهي مكوّنة من اسمين: يلحق كل اسم لقبٌ عـــادة مـــا يكون مخجلاً ومضحكاً مثل: فضل الله درهوب، مبروك دبـــار، مخـــتار الســـاطور، عبدالله الجاروف وعامر دلدول، وسليم الدنداني، ومدهوب السردوك، والقاضي الزبرجداني، وغيرهم.

ب ــ أسماء الأماكن

لقـــد كـــان الكوني في رباعيته يمثل دور الخبير الصحراوي، فهو يعرف أماكن ومناطق مختلفة من الجزء الجنوبي للدولة الليبية، وإن قدم معلومات مغلوطة عن كثير منها ليس في تحديد المكان بل في الناحية السلوكية لسكانها وهو ما سنعرض له لاحقاً في ثنايا هذا البحث عند

تعرّضنا لسلوكيات أهل الواحة في الرباعية، تلك الواحات التي عرف بعضها وأعرض عن بعض.

وحيث أنّ الطوارق أهل ترحال لذا لم يذكر الكوني أسماء مناطق تواجدهم جاعلاً الصحراء الكبرى كلها لهم موطناً دون غيرهم.

فهو يقول منتجعات كيل ابادا أو مخيم امنغساتن مثلاً، ولا يذكر اســـم المـــنطقة التي يقيمون عليها إذ قد يرتحلون عن هذه المنطقة إلى أخرى فتصبح تلك الأخرى منتجعات كيل أباد أو مخيمات امنغساتن وهكذا.

يقول الكوني:

(في الطريق إلى مخيمات امنغساتن تعمد أماستان أن يسلك الطريق الغربـــية، التي تدور حول منتجعات كيل ابادا ... ولكنه عاد واتجه شرقاً بمجرّد أن تجاوز منتجعات كيل ابادا)[1].

وإن كـــانوا يقيمون ــ عادةً ــ حول آبار ماء هي مصدر الحياة لهم فإذا جفّت ارتحلوا عنها إلى غيرها أو نزحوا ــ رغماً عنهم ــ إلى الواحات المجاورة[2].

---

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص146.
2) انظر إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص219ــ221.

أمــا معالم الصحراء كالجبال والوديان والآبار فقد أورد الكوني أسماء بعضها كبئر اطلنطس الذي كانت تقيم حوله قبيلة (امنغساتن) محــور هــذه الرباعــية وآبار الجعيفري[1] وجبال آهجار[1] وجبل أكاكوس[1] ووادي الآجال[1] ووادي الجعيفري[2] وغيرها.

أما الواحات التي يعدّها الكوني تابعة للطوارق وليس العكس فقد قدّم عنها صورة شائنة قبيحة إذ ذكر أسماء كثير من الواحات المجاورة للصــحراء الكــبرى كمــرزق وغدامس وغات ومحروقة وونزريك والعويــنات وأغاديس وسبها التي تجاهل اسمها وأطلق بدلاً منه اسم الجوهــرة وادرار الــتي انتقلت إليها قبيلة امنغساتن بعد جفاف بئر اطلــنطس وإن غرقت كما جاء في الرباعية، وهي الواحة التي دارت فيها أكثر أحداث الرواية وإن كان جلّها من خيالات الراوي.

جـ ـ أسماء الحيوانات

حيــث أن الإنســان ابــن بيئــته فالكوني تعرّف على كثير من الحــيوانات الصحراوية وغير الصحراوية من التي تعيش في الواحات وإن فضّــل بعضها على بعض كما فعل عند تفضيل الجِمال وخاصة

---

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص143، 145، 147.

2) الكــوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ط1، ت1989م، بيروت، ص17. البئر، ص 113.

المهاري التي وصفها بالأنيقة والسريعة لأنها مرتبطة بالطوارق وتخدم أغراضــهم عــلى حمير أهل الواحة والتي تناسبهم وتخدم أغراضهم أيضاً[1].

يقول الكوني:

(بعــت المهــاري الرشــيقة الهــيفاء كأجمل النساء واستبدلتها بالحمير)[2].

كما ذكر الغزلان والماعز والأغنام والذئاب والكلاب والثعابين.

د ـ أسماء الأشجار

يأتي النخيل الذي يمثّل قوت كثير من سكان الصحراء والواحات عــلى قائمة الأشجار المثمرة، أما أشجار الرتم والسدرة والأثل فهي أشجار صحراوية غير مثمرة يستظلّ تحتها المسافر أو المقيم.

ثانيا: الشكل والهيئة

رسم الكوني للطوارق صورة رائعة اجتهد في تكوينها وتزويقها ما أمكنه قابلها بصورة قبيحة مزرية لأهل الواحة ابتداءً من الملابس إلى الجســوم الــتي تغطّــيها هذه الملابس. ففي الرباعية يمتاز الطوارق

---

1) انظر الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص138. أخبار الطوفان، 86.

2) انظر الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ط1، ت1989م، بيروت، ص31.

بعماماتهم البيضاء الطويلة وإن تعمّموا ألواناً أُخر، كما تميزهم تلك الملابس الواسعة الفضفاضة والتي تناسب المناخ الصحراوي.

يقول الكوني:

(... وسرعان ما أقبل الرجال أيضاً، يتبخترون بعماماتهم الكبيرة)[1].

ويقول الكوني:

(رأى كوكبة من المعممين قادمة من مستوطنة الأكواخ)[2].

أما نساء الطوارق فيرتدين الملابس الجميلة الحريرية المزركشة ذات الأشكال البديعة وهنّ يرفلن كالطواويس متبخترات في مشيهن ليسلبن ألباب الرجال.

يقول الكوني:

(في السهل الرحب الممتدّ نحو الجنوب تبعثر الرجال يمتطون المهاري وبدأت النساء تتقاطر وتتجمع، تجرجر ثيابها المزركشة

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص7.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ط1، ت1989، بيروت، ص 124.

الفضفاضة كالطواويس المنفوشة بالريش والكبرياء)[1].

وعن لبسهن الحرير يقول الكوني:

(لم تمض لحظات حتى رآها، ترتدي ثوباً مزركشاً من الحرير، فتحت له ذراعيها الرقيقتين وضمّته إلى صدرها الدافئ)[2].

أما أذواقهن فرفيعة جداً في اختيار الألوان التي تليق بالأنثى، من ذلك قول الكوني عن إحدى الطارقيات الفاتنات:

(ارتدت ثوباً وردياً ووضعت على رأسها طرحة زرقاء قاتمة)[3].

وفي مقابل ذلك كانت صورة أهل الواحة بشعة ومنفّرة، فرجال الواحة لا يكترثون كثيراً بأنواع الملابس وفوق ذلك كله يعيّرون من الطوارق بتشقّق اليدين والقدمين.

يقول الكوني على لسان أحد شخوص الرباعية من الطوارق مخاطباً أحد الفلاّحين:

(اعترف الآن كم خطيئةً ارتكبت؟ قل لي بالسر كم ذنباً اقترفت

1) المصدر السابق، ص134.

2) المصدر السابق، ص80.

3) المصدر السابق، ص102.

يداك المشققتان؟)[1].

ويقول الكوني في موضع آخر وكأن تشقق اليدين والقدمين معرّة يعير بها الإنسان لخدمته في فلاحة الأرض:

(لم يصدّق في البداية ما يرى ولولا قدماه الملوثتان بالطين وروث الحمير والماشية لما صدّق أبداً أن يكون هذا المخلوق المشقّق القدمين واليدين الذي يطير رأسه الصداع هو نفسه الذي يرقد الآن في الجنة بلباسه الوسخ وجسمه الذي تعلوه طبقة من العفن)[2].

ولا يختلف الحال عند حديثه عن نساء الواحة اللاتي لا خبرة لهن بالطيب والملابس، كما أن أصواتهن نكرة يضرب بها المثل.

يقول الكوني:

(وعندما بحث عن السبب اكتشف أنّ زوجته قد غافلته وطوقت معصمه بخيط من الجلد ـــ بدل خيط القماش ـــ كي تجبره ألاّ ينسى أن يمـــرّ على السوق في طريق عودته إلى البيت ويشتري لها من تجار القوافل زجاجة من تلك العطور المسحورة الكريهة الرائحة التي يتاجر بهـــا هـــؤلاء الحـــداق الغشّاشون ويستوردونها من قبائل الهوسا في

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ص368.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ص14.

كانو)[1].

أمـــا عويل وصياح الفلاّحات المسكينات اللاتي قُدر لهن أن يكنّ ضـــمن شـــخوص رباعيـــته فيقول الكوني عنهن على لسان غوما الطارقي:

(نهره غوما دون أن يُغير من وضعه المواجه للقبلة في انتظار ميلاد خيوط الشمس الأولى:

صـــلّ عـــلى الـــنبي. الدنـــيا ما تزال فجراً وأنت تملأها بالعويل كالفلاّحات)[2].

وفي موضع آخر يشبّه أصواتهن بأغاني النصارى المزعجة:

(... فـــإن مـــوري يستمرّ في التنقل بين أحراش النخيل وكثبان الرملة والسلسلة الجبلية. ويروق له أثناء ذلك أن يرفع عقيرته بأغاني النصـــارى المزعجة التي تشبه نُواح الفلاّحات وهنّ يرفعن أصواتهن بالمراثي عندما يحدث ويفقدن عزيزاً لهن)[3].

فإذا التفتنا صوب الأطفال الذين هم أزهار الحاضر وعمد المستقبل

1) الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ص46.

2) الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص105.

3) المصدر السابق، ص125.

نجد لهم نفس الصورة التي لآبائهم فإذا كانوا من الطوارق فهم منظّمون وديعون مؤدبون وإذا كانوا من الفلاّحين فهم أشقياء يتراشقون بالألفاظ والحجارة في مستنقع من القاذورات بأقدام حافية ممسكين بتلابيب أمهاتهم في المناسبات وهم يصرخون:

يقول الكوني في حقهم:

(التقيا في القسم الداخلي. تسكّعا في السوق وقضيا الأمسيات في سينما (الاتحاد). طافا شوارع الأحياء الخلفية المتربة حيث تتكوّم القاذورات وكتل القمامة ويغير الذباب في أسراب شرسة وهناك يروق للأطفال الحفاة أن يتراشقوا بالحجارة ويتنابزوا بالألقاب البذيئة)[1].

ويزيد الكوني الصورة قتامة في حق أطفال الواحة بقوله:

(مزّق الأطفال الهدوء بالبكاء وهم يتشبّثون بتلابيب أمهاتهم المشغولات في القيل والقال)[2].

أما عند حديثه عن أطفال الطوارق فالصورة تختلف.

يقول الكوني:

1) المصدر السابق، ص31.

2) الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان، ص45.

(وسرعان ما أقبل الرجال أيضاً، يتبخترون بعماماتهم الكبيرة. تحلّقوا حول النساء في دائرة واسعة. أقبل الأطفال أيضاً. وقفوا بعيداً في طابور طويل ...)[1].

ثالثا: المهنة

لم يغيّر الكوني مفهومه للمهنة من أوّل الرباعية إلى نهايتها فهو يحتقر مهنة الزراعة وتأبير النخيل وجني محصوله، ويمدح مهنة الرعي ويفاخر بها عاداً حمل الفأس وشقّ الأرض منافياً للفروسية ومثيراً للضحك.

يقول الكوني على لسان الشيخ غوما بطل روايته مخاطباً آهر وهو أحد مشائخ الطوارق أيضاً عندما قرّروا النزوح إلى الواحة:

(أراك تضحك يا شيخ آهر. سوف نرى ما ستفعل عندما نصل الواحة. سنرى عندما نراك مضطراً أن تلجأ لحرث الأرض وسقي النخيل لتطعم أولادك كما يفعل المزارعون من أهل فزان. ألا ترى يا شيخ خليل أنّ مشهد الشيخ آهر وهو يفلق الأرض بفأسه أمراً مدهشاً ومثيراً للضحك؟ ... ليس لك في الواحة رزقاً يا شيخ آهر خارج الحقل. ستضطر وأنت الفارس النبيل أن ترمي البندقية في

1) الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص7.

المســتنقع وتمســك الفأس وتشقّ الأرض وأنت ترتدي الأسمال الرثّة كالمتسولين كما يفعل أي مزارع)[1].

ولا أظــن العبارة السابقة تحتاج إلى شرح أو تحليل فهي واضحة ترشدنا بسهولة إلى كيف يرى الكوني ــ أو ــ شخوص رباعيته من الطوارق ــ الفلاّح ومهنة الفلاحة، في حين أن الرسول الكريم يحثّ على كسب الرزق من عمل اليد.

فعن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(ما أكل أحدكم طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده وإنّ نبي الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)[2].

وفي موضــع آخر ــ وما أكثر المواضع التي يُحقر فيها هذه المهنة وصاحبها ــ يقول:

(والواقع أن غوما لم يجد حماساً في الكبار والعقلاء في القبيلة كي يتواضــعوا ويحــرثوا الأرض فكيف يطمع في أن يجده لدى الشباب والفتية والطائشين؟)[3].

---

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص220، 221.

2) أبوزكريا محي الدين يحيى النووي، نزهة المتقين، تأليف مصطفى سعيد الخن وآخرون، ج 1، ص399.

3) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان، ص124.

لاحظ كلمة (يتواضعوا).

بــل ويعتقد الكوني أو (شخوص رباعيته من الطوارق) أنّ مهنة الزراعة عارٌ توجب الخجل:

يقول الكوني في ذلك:

(كــان يشــمّر عــلى ساعديه ورجليه معاً، يمسك بمعول طويل المقــبض وقدماه تغوصان في الوحل والطّين المملح بالسبخة الحارقة. رأى كوكــبه مــن المعممين قادمة من مستوطنة الأكواخ تتجه إلى السوق. تعمّدوا أن يسلكوا أبعد طريق ــ يمتد إلى أقصى الشرق ــ كي يتجنّبوا المرور على الحقل منعاً للإحراج)[1].

وفي تتبعــنا لاحتقار مهنة الزراعة والمزارعين في الرباعية والتحسّر عــلى أيام الصحراء وعدّ مهنة الزراعة مهنة غير نبيلة وتبعد صاحبها عــن مــبادئ الفروســية. نأتي ببعض الأمثلة للتدليل على التعصّب المستشري في الرباعية إزاء كل ما هو يتصل بالواحة ومهنة الفلاحة.

يقول الكوني:

(... ولكــن الأمر قد اختلف اليوم فلم تعد إلهاً على الصحراء ودولــتك ــ التي كانت قومًا من الصحراء قد بدأت تؤول للزوال

---

1) المصدر السابق، ص124.

والفناء بعد لجوئك للواحات و لم تكتف بهذه الهزيمة فخُنت مبادئ الفروسية وبعت المهاري الرشيقة الهيفاء كأجمل الحسان واستبدلتها بالحمير للتطاول في الفلاحة وتعارك الأرض كأهل الواحات. فيا حسرتى على النُّبل الضائع، ويا خوفي من اندثار مبادئ الفروسية!)[1].

وعن مهنة تسلق النخيل أورد الكوني على لسان أحد الفلاّحين المساكين يقولها عن نفسه على ما فيها من غبن:

(لولا براعتي في تسلّق النخيل لقتلني. حرفة القرود أنقذتني من الموت ها ــ ها ... ما رأيك في مهنتنا الآن يا شيخ غوما؟ يروق للبدو أن يعيّروا الفلاحين بتسلق النخيل ... هه)[2].

كما يروق لشخوص الرباعية من الطوارق أن يعيّروا الفلاحين بمهنتهم وأيديهم المشققة.

يقول الكوني على لسان أحدهم إمعاناً منه في إذلالهم:

(... أنا آكل من يديّ هاتين ... من يدي المشققتين هاتين. أنا

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ص31.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص223.

الفزّاني جباد السواني أنا فخور بيدي ...)[1].

فهل تحتاج العبارتان السابقتان إلى توضيح لإدراك مدى التعصّب المهني في رباعية الخسوف؟

رابعا: الأخلاق

اتبع الكوني طريقة قديمة عقيمة وهي إذا أردت أن ترفع من شأن أحد ما فحقّر المقابل له. وهذا ما طبّقه على كل الأجناس غير الطوارق الواردة في الرباعية، وكلما كان ذلك الجنس ملاصقاً للطوارق أكثر نال تحقيراً أكثر.

فمثلاً أهل الواحة زناة مدمني خمر قوّادون حتى على أخواتهم سرّاق عملاء وخونة لا يؤمن جانبهم أبداً، وفوق ذلك كله فمشاركتهم في الحركة الجهادية ضئيلة كما سنرى ذلك في الجانب التاريخي ــ طبعاً من وجهة نظر الروائي ــ وإني لأعجب من كاتب مثل الكوني في تعميمه للرذيلة وعدم أخذه جانب الحيطة في أقواله التي يبدو فيها غير مسؤول، وإن جاء ذلك على لسان شخوص روايته من الطوارق.

يقول الكوني:

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ص303.

(التبغ هو زادي ولا أستطيع أن أنهض إلى الحقل بدونه كما عبّر يومها. ومرزوق يبدو رجلاً طيباً وسوياً ــ إذا استثنينا ضعفه نحو التبغ ــ إذا قورن بغيره من الفلاّحين في الواحة المصابون بأمراض أخطر بكثير من تعاطي التبغ وعلى رأسها تأتي عادة تعاطي اللاقبي. وهي رذيلة تعاني منها كل الواحة)[1].

لاحظ كلمة (كل الواحة).

وحتى مرزوق هذا الذي برّأه الكوني عاد ليتهمه بتعاطي اللاقبي حتى تصبح نسبة تعاطي الخمر في الواحة 100% ولا فخرا![2].

ولم يبخل الكوني أيضاً في قذف المحصنين والمحصنات من أهل الواحة بتهمة الزنا صراحةً.

يقول:

(هنا عضّ ثلاثة أرباع الرجال بنان الندم وأيقنوا أنّ العصفور الرشيق قد أفلت من بين أيديهم إلى الأبد ولم يعد باستطاعة هؤلاء المنافقين الملتحين النّاهين عن الفحشاء والمنكر بالنّهار المتسلّلين إلى بيتها وهم يتأبّطون قلل اللاقبي؛ لم يعد باستطاعتهم أن ينعموا في

1) انظر المصدر السابق، ص297.
2) المصدر السابق، ص86.

المستقبل بدفئها وحنانها)[1].

لاحظ قوله (هنا عضّ ثلاثة أرباع الرجال) أي نسبة 75% من رجال الواحة زناة بلا دليل وتمادياً في التشفّي جعل النساء في الواحة زواني في تعميم دون تخصيص.

يقول الكوني:

(كان الشحّاذ معصوب العينين بخرقة بالية سوداء، يكسو الشعر المجعّد المتسخ وجهه ويديه ... طاب له الزحف على ركبتيه ويديه عبر الطرقات والأزقّة في الحي القديم حيث يقضي جلّ الوقت تحت الجدران المعتمة يطلب الصدقات من المارّة ويقرأ أكفّ النساء المخضبات بالحناء بواسطة اللمس. ويبدو أن هذه الطريقة راقت له إلى حدّ جعله يغيب في الأزقّة الضيقة أياماً وليالٍ حتى علّق أحد الخبثاء قائلاً: (... ضيفنا المبجّل الشحّاذ فضّل الحي القديم على سدة الجامع لأن الرغبات في قراءة الكف أكثر هناك، وأيديهن أدفأ وأرحم وأنعم من أيدي أزواجهن الخشنة وكذلك هنّ أجزل وأكرم في العطاء!)، وكثيراً ما يعلّق خبيث آخر: (هنّ أجزل في العطاء بنوعيه)[2].

1) الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان، ص51.
2) المصدر السابق، ص71، 72.

ولا نجد هذا السلوك الشائن موجوداً عند أهل الصحراء — في الرباعية طبعاً — بل هو مقصور على أهل الواحة التي فيها الأخ يقوّد على أخته أيضاً.

ولعلّ الكوني وهو يكتب عن أحد واحات ليبيا نسي نفسه فكتب عن سلوكيات تلك المدينة التي كتب فيها رباعيته ثم عندما عاد وقرأها من جديد لم يشأ أن يغيّرها. فعلى حدّ علمنا أن جلّ أهل الشرق يتأفّفون من هذه المعرّة فكيف بواحة من واحات ليبيا، ولكنني أقول (ممكن الغزال يحك)[1].

يقول الكوني في إثبات شرف القوادة لسكان الواحة:

(ولم يستغرب فضل الله أن تبلغ الشجاعة بالمدرّس الجريح حدّاً يمنح فيه الأخ خطاب غرام لأخته بسبب السوابق التي مهّد بها عامر لكسب ودّه وضمان صمته ... ذهب فضل الله الخبيث إلى الربوة المطلّة على بيتهم وفتح المظروف وقرأ اعتراف المدرّس الجريح لرحمة بالغرام والهيام غافراً لها سوء التفاهم الذي حدث مؤكّداً استعداده في خوض غمار عمل بُطوليّ أكبر إذا تطلّب الأمر فغرق الولد اللعين في الضحك حتى ترقرقت عيناه بالدموع ثم نهض ونزل الربوة وسلّم

1) مثل ليبي.

الرسالة لرحمة) [1].

ولعلّ هذا السلوك — من وجهة نظر الكوني — سائداً في الواحات فالزنا والخمر والعمالة لا علاقة لها بالفضيلة عند أهلها جملة وتفصيلاً، ثم ركّز على رموز الواحة متهماً إياهم بهذه النقائص مجتمعة. فالقاضي زانٍ.

يقول الكوني على لسان فضل الله درهوب معترفاً لحفيد الشيخ غوما بذلك:

(أقسم بالله أنني ضبطت القاضي الزبرجداني بصلعته اللامعة تحت ضوء النهار وهو يئنّ ويتوجع في فراش زهرة!)[2].

وشيخ الواحة زانٍ أيضاً.

يقول الكوني على لسان فضل الله درهوب أيضاً في ضمن اعترافات لحفيد الشيخ غوما (ايس) دونما قهر ولا من باب التشفّي ففضل الله درهوب من أبناء الواحة، والكوني بذلك يريد أن يسجل هذا الاعتراف على لسان أحد أبنائها شهادة منه على رموزهم:

(أنت مثل جدّك. أنت تتخذ نفس الموقف. تعطف على القاضي وتكره الجاروف خبيث أملك لأني لم أقل لك أني ضبطت الجاروف

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ص53.
2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص38.

في فـــراش زهـــرة هيء ... هيء ـــ هيء ... بوسعك أن تفرح. لقد ضبطت الجـــاروف هناك منذ زمان هه؟ ما رأيك؟ هل أنت في حال أفضل الآن بعـــد هذه البشرى؟ آ؟ قل لي بالله: ألا تشعر بالسعادة الآن؟ أنا أراهن أنك سعيد. ضبطت الشيخ الجاروف هناك منذ زمان وأخفيت عـــنك الحقيقة. الواقع أني خشيت أن تستغلّ ذلك في الصراع الدائر بينه وبين جدّك غوما)[1].

وهذا الشيخ الزاني هو سليل أسرة عميلة لا يذهب إلى الجهاد بل يسخر من الذاهبين إلى ساحات المعارك.

يقول الكوني على لسان مهمدو:

(هل تعرف من وراء هذه الدعابة؟

أضاف دون أن ينتظر جواباً:

عـــبدالله الجـــاروف، ابن الشيخ عاشور عميل القائمقام العثماني الذي دفنه الناس حياً في الأرض عندما ثاروا ضدّ البك)[2].

ويضيف الكوني:

(عـــندما انطلقت القافلة في طريق الشمال شيّعه عبدالله الجاروف قائلاً:

---

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص39.

2) الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ص85.

جاء دورك المناسب يا مهمدو كي تريَنا حيلك. نريد أن تستعمل ســـحرك ضدّ أعداء الأرض وأعداء السماء. هذه فرصتك يا مهمدو كي تُسكت المشكّكين في مواهبك!

وأعقب ذلك بضحكة تهكّم مريرة فتبادل مهمدو مع غوما نظرة ذات معنى. أومأ له غوما بألا يعيره اهتماماً)[1].

هذا ومن الرذائل التي أثبتها الكوني لأهل الواحة رذيلة السرقة[2].

و لم يقصر الكوني تهجّمه على أهل الواحة فقط بل فعل ذلك مع كل من ساقه الحظ وأقام علاقة مع الطوارق في الرباعية.

فالتـــبو أهـــل جوار مع الطوارق لذا خصّهم الكوني بشيء من الـــنعوت القاســـية كـــالغدر وكثرة الثرثرة ومطاردة بعضهم بعضاً بالسكاكين إلى غير ذلك من النعوت.

يقول الكوني:

(البيت ملاصق لبيت آخر يستأجره بعض العائدين من المهجر من قبائل التبو الذين لا يكفون عن الثرثرة بلغتهم الحادّة التي تشبه مخارج ألفاظها عبارات السباب، يتنازعون بالكلام طوال الليل أو يطاردون

---

1) الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان، ص85.

2) انظـــر الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ص267ـــ269. انظر أيضاً الكوني، أخبار الطوفان الثاني، ص47.

بعضـــهم بعضـــاً بالســـكاكين التي تلمع تحت ضوء القمر ويعتبرون أنفســـهم مهـــرة في استعمالها لا يوجد لهم منافس في كل الصحراء الكبرى)[1].

أليســـت هذه الصورة من أقبح الصور التي تقدم عن مجموعة من القبائل يضمها اسم (التبو)!

إنّ أســـلوب التعميم الذي يستخدمه الكوني في رباعيته هذه ضدّ أهل الواحة وضدّ التبو يؤكّد لنا بما لا يدعو مجالاً للشك أنه غير دقيق في انتقاء عباراته. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فمن السهل على أي إنســـان أن يـــتهم لغة غيره بأقذع التهم كما فعل في وصفه للغة التبو، إلاّ أن هذا أسلوب سوقي مبتذل لا يليق بكاتب مبدع.

أما عن علاقة التبو بجيرانهم من أهل الواحة فلا أظنّ أن هذا يدخل ضـــمن دائـــرة الكوني إلاّ من باب التشفّي من الاثنين معاً[2]، وكم يكون جميلاً لو أنه صاغ لنا عن علاقات الطوارق بقبائل التبو.

وعـــن غـــدر التبو وطعنهم لأعدائهم من الخلف واتهام نسائهم بممارسة الدعارة يقول الكوني:

(وفي رواية أخرى أن باتا طاردت العجوز وهي تشهر مدية فظيعة مـــن الـــنوع الذي تعوّد التبو أن يغدروا به أعدائهم ويطعنونهم من

---

1) الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ص76.

2) المصدر السابق، ص76.

الخلف)[1].

ويضيف:

(ولكـــن قداسة آجار لم تدم طويلاً. إذ أُشيع أنه يتردد على بيت مطلّقـــة تباوية تسكن كوخاً لا يبعد مسافة طويلة عن الجامع فهجره الناس وتحاشاه الشيوخ)[2].

أمـــا القبائل والأجناس الأخر المجاورة لقبيلته فهم زنوج متخلّفون وإن اســـتوطنوا ليبـــيا وصاروا مثله مواطنين، فهو يعيّرهم بالسواد والقـــبح في الشـــكل واستخدام الشعوذة، فهم في روايته إما سجان كـــريه أو شـــاب أسود محروق البشرة ــــ على حدّ تعبيره ــــ يقف حاجـــباً عند أحد البوابات أو مجموعة من الوحوش البشرية الشرهة أطلقـــت من عقالها لتستبيح أحد الواحات المشهورة لمدة ثلاثة أيام

---

1) الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، ص384.

2) الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص178.

تفعل فيها ما تشاء[1].

1) انظـــر الكوني، رباعية الخسوف، نداء ا لوقوق، ص184، 246، 155. وانظر أيضاً رباعية الخسوف، البئر، ص29ــ30.

الضوء الرابع

الجانب التاريخي في رباعية الكوني

الجانب التاريخي

إذا كانت بواكير الأدب اللاتيني تضرب في أعماق التاريخ الإنساني مقرونة بأساطير نُسجت حول آلهة وثنية، فإنّ الكوني في رباعيته ــ الخسوف ــ حاول أن يؤرّخ للأدب الطارقي جاعلاً بواكيره الناضجة تمتد إلى ما يقرب من خمسة آلاف سنة مقرونة أيضاً بأساطير نسجت حول آلهة ولكنها ليست وثنية فيما يسميه الكوني بالإلهة تانس[1]، ولعله في ذلك يريد أن يؤرّخ أيضاً للّغة الطارقية، فإذا كان أدبها يمتد إلى ما يقرب من خمسة آلاف سنة وهي فترة نضج اللغة حتى يكتب بها الأدب فمتى تكلم أول طارقي باللغة الطارقية ــ قبل نضجها؟

يقول الكوني:

(رطن موري يومها طويلا.

قال إنه سعيد لأن الله وفقه في إنجاز مهمته وصدق بوعده فقدم هديته لأهل الوادي. وقال إن اكتشاف عاصمة الجرمنت القديمة يعادل اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون في العشرينات من هذا القرن. بل ربما فاقها هذا الاكتشاف إثارة بعد العثور على مومياء تانس

1) انظر إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ط1، ت1989، بيروت، ص47ــ57.

المحنطة منذ خمسة آلاف سنة حسب تقديراته)[1].

ولكــن هذه الآثار آثار جرمنتية، وهذه الجثة المحنطة جثة جرمنتية أيضاً. فهل يريد الكوني أن يُرجع الطوارق إلى أصول جرمنتية؟

يقــول علي البوصيري أنه حسب رواية الحاج شاوي عليه رحمة الله:

(إن الجرمــنة قدمــوا إلى ليــبيا بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر وعقــدوا اتفاقاً مع الطوارق وبالذات مع قبيلة أوراغل التي اشترطت عليهم (إذا تعرضت ولاية طرابلس للغزو الأوربي أن يلتزموا بالدفاع ولا يخرجوا مهاجرين مثلما فعلوا في الجزائر)[2].

قولٌ كهذا يدلّ على أن الطوارق ليسوا جرامنة.

والدلــيل الآخــر هو أنّ الجرامنة ذووا عيون زرقاء وشعر أشقر وليس الطوارق كذلك. ويؤكّد هذا ما جاء به على البصير في قوله:

(بمــا أن الجرامنة هم أقرب نسبة إلى الجرمنت من حيث التسمية والأوصاف الواردة لهذا الشعب في الآثار المصرية، وهم ليسوا طوارق

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوف، ط1، ت1989م، بيروت، ص132.
2) علي البوصيري، استبيان قدم إلى مركز جهاد الليبيين ضد الإيطاليين بطرابلس، ص9.

فعليه يكونوا الطوارق ليسوا جرمنت بل شعب آخر يختلف)[1].

إذن هــل يــريد الكــوني أن يقول أنّ الطوارق كانوا معاصرين للجرمنــت لذا دانوا بدياناتهم وعبدوا آلهتهم ونسجوا حولها أساطير وصاروا على مرّ تاريخهم يتقربون لهذه الآلهة بالذبائح والقرابين حتى بعد دخولهم الإسلام ومرور خمسة آلاف سنة على موتها.

يقول الكوني على لسان آجار:

(لا أخفــي علــيك لقــد ذهبــت منذ أيام وصليت عند الجبل وتضرّعت إلى روح تانس أن تضلل الأغراب وألاّ تدعهم يكتشفون مكــامن الكنوز ... آه لو كنت أملك معزة أخرى لو كنت أملك معــزة زائدة لنحرها فوراً قرباناً لتانس كي تزيد في الاحتياط وتخبي الكنز بعيداً عن يدي هذا المجرم)[2].

أما الشعر فلم يحدّد الكوني بداياته كما فعل مع الأساطير وإن قال إنه قديم.

يقول الكوني:

(وبــرغم الكآبــة التي سادت القافلة منذ الصباح بسبب موت

1) المرجع السابق، ص9.
2) إبراهيم الكوني،رباعية الخسوف، نداء الوقوف، ص133ـ134.

اماســتان المباغت إلاّ أن المقاتلين فوجئوا بالشيخ غوما يرفع عقيرته بالغناء مردداً أبياتاً قديمة)[1].

وقــد لا يختلف على هذه الفقرة اثنان لأنّ قول الشعر لا يستلزم إعــداداً مسبقاً بل هو منة من الله تُقذف في قلوب بعض خلقه تسيل بالشــعر عــلى شفاههم. ولكن أن يقول الكوني أن للطوارق شعر ملحمي فهذا أمر يحتاج إلى دليل وإثبات.

يقول الكوني:

(سحبت (امزاد) من تحت لحافها الفضفاض وغنّت له آخر قصائد الهجاء الموجهة ضد شاب جبان من قبائل (الأمغاد)، ثم تمدّج صوتها الرقــيق، وترقرقت عيناها الكبيرتان بالدموع عندما غنت مقاطع من مــلحمة تمجــد نضــال الأمير بكدة ضدّ الغزاة الفرنسيين في بداية القرن)[2].

ولقــد سألت بعض المتخصصين في الجهاد الليبي هل يعرفون أميراً طارقياً بهذا الاسم قام بصدّ الغزاة الفرنسيين في بداية هذا القرن حتى يمجــد بــالملاحم من قبل الطوارق؟ فكانت الإجابة بالنفي، بل زاد أحدهم على ذلك بقوله:

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص64.
2) المصدر السابق، ص13.

(خلال تعاملي في جمع الروايات الشفوية لم أسجل شعراً للتوارق يدخل ضمن الملاحم)[1].

ويحــاول الكوني من طرف خفي أن يقول أن الصحراء الكبرى ملك للطوارق ومن ثم فالدفاع عنها ضدّ العدو تخصهم وحدهم.

ففــي معــركة غــات أعلن غوما النفير ووجهت الرسل صوب الطــوارق، وكأن الصحراء الكبرى مسئولية الطوارق وحدهم. لذا وزّعت الجبهات على قبائل الطوارق دون غيرهم.

يقول الكوني على لسان غوما:

(أعدّوا العدّة. ليس لدينا وقت. أرسلوا الرسل إلى شيوخ القبائل: الفوغــاس والهوجــار وكيل ابادا وأرواغن أخبروهم على لساني أن يبعثوا لنا بالمقاتلين العباد ... قولوا لهم أن يحاصروا غات بعد أربعين يوما ابتداءً من هذا اليوم. الفوغاس من الغرب وأخبروا كيل ابادا أن ينضموا إليهم، ونحن مع أوراغن من الشمال والشرق. ابعثوا بفارس إلى شيخ الهوجار لكي يقطع على الفرنسيين طريق المؤن والتعزيزات

1) عــلي البوصــيري، استبيان قد إلى مركز جهاد الليبيين ضد الإيطاليين بطرابلس، بحث مخطوط، ص1.

من الجنوب)[1].

إلاّ أنّ أحـــد المتخصصين في تاريخ الجهاد الليبي لا يوافق الكوني على أنّ معركة غات قام بها الطوارق فقط، وإن وافقه على أن أهالي واحـــة غات اقتصر دورهم الجهادي في هذه المعركة على المشاركة بـــزغاريد النصر وطهي الطعام للطوارق. ويوافقه أيضاً على أنه لولا انتصـــار المجاهدين في هذه المعركة لاستطاع الفرنسيون احتلال واحة غات[2].

ولقد ركّز الكوني في رباعيته على معركتين هامتين يعدان من أهم المعـــارك الجهاديـــة في الجنوب الليبي. ففي معركة غات كان النصر حليف المجاهدين (الطوارق) على حد تعبير الكوني، ولولا ذلك النصر لاســـتباح الفرنســـيون غات ومن بعدها الجنوب الليبي وإن حاول الكوني طمس مشاركة غير الطوارق في هذه المعركة.

أمـــا المعركة الثانية فهي معركة محروقة التي شارك فيها الطوارق

---

1) أـــ إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص32.
انظر أيضاً:
بـــ المصدر السابق، ص100.
جـــ إبراهيم الكوني، أخبار الطوفان الثاني، ط1، ت1989م، بيروت، ص27، 28.
2) مصطفى حامد، استبيان قدم لمركز جهاد الليبيين ضد الإيطاليين بطرابلس، ص1.

وغيرهـــم من القبائل وسكان الواحات، وإن حاول الكوني أن يجعل مـــن مشاركة أهل الواحات مشاركة غير فاعلة، فهم دائماً في آخر القافلـــة، وهم يحملون فؤوس ومناجل وعصي، وهم يبيعون بنادقهم العتـــيقة في السوق السوداء بأسعار خيالية لجلب الثراء السريع. يقول الكوني:

(وبـــرغم أن عصراً ذهبياً أعقب حكم نوري بك إلاّ أن الحائزين على السلاح لم يصدقوا حياة الديمقراطية الجديدة التي عاشتها الواحة وظلّ شبح الطاغية ماثلاً أمام أعينهم ساكناً في قلوبهم حتى إذا تنادى الشجعان ودقت طبول الحرب قام هؤلاء ببيع تلك البنادق العتيقة في السوق السوداء بأسعار خيالية جلبت لهم الثراء السريع)[1].

وكأن البلاد تأتي في آخر قائمة اهتماماتهم.

ويقول في موضع آخر:

(وقد اضطر المحاربون إلى استبعاد الحمير كمركوب بعد أن أثبتت الـــتجربة في معارك الهجوم الأول عدم قدرتها على اجتياز الصحراء الرملية فهلك معظمها في زلاّف واضطر أصحابها إلى حمل أثقالها على

---

1) إبراهيم الكوني، أخبار الطوفان الثاني، ص86.

رؤوسهم)(1).

إلاّ أن الكوني وقع في مغالطة حين قال:

(ولكن لم يمض عام حتى انتشرت أنباء مزعجة عن قصف السواحل واجتياح الجيوش الإيطالية للمدن، ولم يمض زمن حتى وصلت أخبار أخرى تقول أن الإيطاليين يتأهبون لاكتساح الجنوب والسيطرة على واحات فزان فاضطر غوما للإسراع بإنهاء إجراءات تزويج ابنه تحسباً للمجهول الذي تخبئه تلك الأيام العصيبة. وبعد مرور شهر فقط على حفل العرس وصل رسل الشيخ عبدالنبي بالخير لتجميع المقاتلين وحشد القوات لصدّ الغزاة عن واحات فزان)(2).

ولكن عبدالنبي بالخير كان في الجانب الآخر مع الإيطاليين لا المجاهدين في معركة محروقة.

وكعادة الكوني عندما يريد أن يؤكّد خبراً مشكوكاً فيه فإنه يقوم بتكراره مرات حتى يثبته على أنه حقيقة.

يقول الكوني على لسان الشيخ غوما:

(لجأت إلى الواحة لتلقّي العلم على أيدي أهلها ولكن المعرفة

---

1) المصدر السابق، ص86.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص37، 38.

والكتب لم تزدني إلاّ شقاء فعدت إلى الصحراء ولكن المرض استمر يعديني حتى جاء رسل الشيخ عبدالنبي بالخير لتجميع الناس لصدّ الطليان عن غزو الواحات فالتحقت بهم بلا تردد وأخذت ابني معي فقدته هناك وبقيت أنا)(1).

ويكرر الخبر بصيغة مغايرة ولكن المضمون واحد هو أن قائد معركة محروقة عبدالنبي بالخير، وهي المعركة التي فقد فيها غوما ابنه.

يقول الكوني:

(وفي اليوم المحدد تزودوا باللحم المجفف وأكياس الرصاص والدقيق والتمر وقرب الماء. امتطوا ظهور المهاري وانضم مع ابنه إلى قافلة المحاربين نزلوا جبل الحساونة في اليوم السابع وتزودوا بمزيد من الماء وأكياس التمر لدى سكان الواحات المنتشرة طوال السفح الذين استقبلوهم بالذبائح والزغاريد. وفي اليوم العاشر التحقوا بجيش الشيخ عبدالنبي بالخير الذي قاد الحملة بنفسه ... استمر القصف قرابة الساعة عندما جاءت الأوامر بالانسحاب فوراً بعد أن أصبح المقاتلون مهددين بالإبادة ... قال ابنه وهو يتراجع محتمياً بالمرتفع الرملي:

(إنهم أمروا بالانسحاب. لا نستطيع أن نواجه القصف المدفعي في

---

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص96.

العراء ... بدأت قوات العدو تتقدم نحوهم. استمر غوما يتنقل خلف المرتفع الرملي يطلق النار على القناصة ... ولم يلحظ كيف أصيب ابنه في رأسه فانكفأ على وجهه ودس رأسه في الرمل. ظل يتراشق معهم حامياً ظهر المحاربين المنسحبين نحو الجبل. وعندما رأى ابنه منكفئاً أقبل نحوه وأمسك بيده وشرع يجس نبضه. لقد مات لقد أصابته طلقة من قناص إيطالي في رأسه فخرقت الجمجمة وسال الدم تحت اللثام وتسللت خيوطه إلى الرمال العطشى)[1].

إنّ قول الكوني (وفي اليوم العاشر التحقوا بجيش الشيخ عبدالنبي بالخير الذي قاد الحملة بنفسه).

في العبارة السابقة مغالطة تاريخية، إذ أن معركة محروقة كانت قيادتها للشهيد الشيخ محمد عبدالله البوسيفي لا عبدالنبي بالخير؛ اللهم إلا إذا أراد الكوني أن يقول أن الطوارق اشتركوا إلى جانب الطليان. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الكوني أورد طريقتين مختلفتين لوفاة ابن الشيخ غوما مما يدل على وجود خلل في السرد الروائي.

أما الطريقة الأولى فكما ورد في الفقرة السابقة.

وأما الطريقة الثانية فيقول الكوني:

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص38ــ40.

(اشتكى أسوف من العطش فتألم غوما وداس على قلبه ولم يعره اهتماماً. بدأت المدافع تقتحم الوادي ... نظر الولد نحوه بعينين غائبتين يكسو مقلتيهما البياض. همس بخجل:

لم أعد أستطيع. العطش!

داس على قلبه مرة أخرى:

الصبر! تدرّع بالصبر ... عاد أسوف يشتكي من العطش: لم أعد أستطيع. إني لا أرى بوضوح ... الحرّ امتص المزيد من الرطوبة في جسميهما ... فقد الوالد صوابه وقال بلهجة اعتبرها غوما في تلك اللحظة تطاول ووقاحة:

رأيتك في الصباح تدس غالو الماء تحت كمك ... أعطني جرعة واحدة! جرعة واحدة فقط ... أريد قطرة! قطرة بدل الجرعة كي أبلل ريقي! ... فجأة وجد أسوف يهجم عليه قفز إلى جواره ومد يده تحت كمه يريد أن يستولي على الغالون ... قفز غوما وانتزع منه الغالون ... مضت لحظة وهما يتنازعان واقفين على طول القامة ثم ... أصيب الفتى.

تلقى رصاصة في جبينه ... لم يدرك غوما ما حدث إلاّ بعد أن انهار اسوف وسقط على الأرض منكفئاً على وجهه. لحظتها أبصر

خيط من الدم يسيل على الأرض فتمتصه الأرض العطشى)[1].

فإذا قال قائل إن لغوما ابنان وأن المعركتين مختلفتين وهذا أمر بعيد الاحتمال يرد عليه الكوني بقوله:

(عـاد إلى القبـيلة فاستقبله وفد منها في الواحات كما أرسل له الشـيخ عبدالـنبي برسول يحمل خطاباً يحييه فيه ويهنئه على سلامة العودة ويعزّيه في ابنه الوحيد)[2].

وقوله أرسل له عبدالنبي بالخير زيادة في التأكيد على أنه كان قائد معركة محروقة.

وللعـلم فإن المعارك التي وقعت بوادي الشاطئ لم يكن عبدالنبي بالخير في صف المجاهدين فيها فكيف يكون لها قائداً!

فعن معركة الشب، يقول علي البوصيري:

(تحركت القوات الإيطالية من سوكنة في فجر اليوم السادس من ديسمبر سنة 1913 وكانت تلك القوات مكونة من:

سـتة وأربعـون ضابطاً واثنان من الموظفين المدنيين بالإضافة إلى تسـعة وسـتين جـندياً إيطالياً وستة من المشائخ الليبيين من بينهم

1) إبراهيم الكوني، أخبار الطوفان الثاني، ص98ـ102.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، البئر، ص40.

عبدالـنبي بالخير وسعد بن عطية ... و1284 جندياً من الأرتريين وعشرة مدافع وأربع رشاشات و1765 جملاً وأربع شاحنات)[1].

وعن قائد هذه المعركة يقول علي البوصيري:

(أمـا مـن حيـث الخسائر البشرية التي مُني بها الطرفان في هذه المعركة فإنّ الروايات الشفوية لا تتحدث عن خسائر الإيطاليين بينما تحصر عدد الشهداء من المجاهدين بخمسة عشر شهيداً. استطعت أن أحصل على ثلاثة عشر اسما وهم:

أبوالقاسـم البدي البوسيفي وهو الذي كان يتولى قيادة المجاهدين في هذه المعركة وعمر بن عبدالنبي البوسيفي ومحمد بالحاج العزومي، وغومـة، وعـلي الهمالي ومحمد بن كرير، وعلي بن علي، ونويرة، وعمر بن منصور، وغيث بن منسية، وعلي بالحاج الجلغمي، والحاج بـن مصـباح، وشخص آخر اسمه مرابط من عائلة عقيل واثنان من الحساونة ولم أوفّق في الحصول على اسميهما)[2].

أما معركة اشكدة التي وقعت بعدها بستة أيام أي يوم 12/13/ 1913م فيقول علي البوصيري:

1) عـلي البوصيري علي، المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي في الجزء الغربي من ليبيا، رسالة ماجستير، 1992، ص62، 63.

2) المرجع السابق، ص66، 67.

(في صبيحة يوم 1993/12/13م بدأت القوات الإيطالية تقدمها، ولقد دفع مياني بالقافلة في بداية الزحف وأمرها أن لا تسلك الطريق المعتاد بل تتجه جنوباً للتظاهر بأنها متجهة إلى سبها بدل براك وهو بذلك سيعمل على إخراج المجاهدين من معاقلهم الحصينة ... وتشير المصادر الإيطالية أن مياني قد اتبع هذا الأسلوب لمواجهة قوات المجاهدين بعد أن قام بدراسة الموقع الذي كان به المجاهدون.

... أما في الرواية الشفوية، فإن خلافاً يرد حول اتباع مياني أسلوب الابتعاد عن الطريق المعتاد للوصول إلى براك، فالرواية الأولى تقول:

(... إن عبدالنبي بالخير وهو أحد الزعماء المحليين المصاحبين للحملة هو الذي أشار على مياني باتباع هذا الأسلوب لعلمه بأن المجاهدين عندما يرون ابتعاد القافلة سيخرجون من مواقعهم ويحاولون الاستيلاء عليها).

أما الرواية الثانية فتقول:

(... إن الشيخ سعد بن عمرو هو الذي وصلته الرسالة التي أرسلها مياني إلى المجاهدين قد اتفق مع الإيطاليين على اتباع هذا

الأسلوب)[1].

وأما قائد هذه المعركة فهو الشيخ بشير العياط البوسيفي وهو أحد شهدائها وقبره مازال موجوداً بموقع المعركة[2].

أما معركة محروقة فوقعت في 1913/12/24م، وعبدالنبي بالخير مازال في صف الإيطاليين لا المجاهدين. يول علي البوصيري عن توزيع القوات الإيطالية:

(في الميمنة العساكر الليبيون والميسرة العساكر الأرتريون وخلفهم المون والحراسة وكان على الحراسة أن تشترك في القتال منذ البداية وتترك القافلة لحراسة عبدالنبي بالخير والمقارحة الذين انضموا إلى القوات الإيطالية بعد معركة اشكدة)[3].

وعن قائد هذه المعركة يقول علي البوصيري:

(فالكاتب الإيطالي بيلارد نيللي يقول أثناء حديثه عن نتائج معركة محروقة:

(أسفرت عن دحر القوات المتلاحمة مع محمد بن عبدالله

1) المرجع السابق، ص69، 70.
2) المرجع السابق، هامش (1)، ص73.
3) المرجع السابق، ص76.

وإبادتها ... ولقي فيها حتفه فضلاً عن محمد نفسه اثنا عشر زعيماً آخر من زعماء الشاطئ والقبلة ...).

إذن فقائد معركة محروقة هو الشهيد محمد بن عبدالله البوسيفي، أما عبدالنبي بالخير فلم يكن قائداً ولا حتى مقاتلاً في صف المجاهدين لأي معركة من معارك الشاطئ، بل كان عميلاً للإيطاليين.

ولكن الطريقة التي اتبع بها الكوني سرد روايته في هذه المعركة من أنّ عبدالنبي بالخير تولى القيادة بنفسه وأن غوما — زعيم قبائل الطوارق — في هذه الرباعية كان على صلة به قبل المعركة وبعدها حيث بعث له برسوله لتهنئته على سلامة الوصول وإطلاق سراحه من الأسر يدلّ على جهل صريح بالتاريخ الليبي.

أما قول الكوني أن بطل رباعيته قد لاحظ وجود بعض الأحباش إلى جانب الإيطاليين بقوله:

(لاحظ غوما بعض الأفراد من قبائل الزنوج من بين مجندي الجهانة فصدق ما يتردد من قيام الإيطاليين باستجلاب قوافل من جنود الأحباش للاستعانة بهم في الاستيلاء على الصحراء)[1].

ففيه خلطٌ أيضاً ومطعون في صحته إذ أن الأحباش لم يشتركوا

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ص96.

إلى جانب الإيطاليين في هذه المعركة بل الذين اشتركوا كانوا أرتريين.

يقول علي البوصيري:

(... وكانت تلك القوات مكوّنة من الموظفين المدنيين بالإضافة إلى تسعة وستين جندياً إيطالياً وستة من المشائخ الليبيين من بينهم عبدالنبي بالخير وسعد بن عطية و1284 جندياً أرترياً)[1].

ولكنني لابدّ أن أشيد بالطريقة التي وصف الكوني بها مجريات المعركة غير أنه لا يكاد يخرج من كبوة إلا ليقع في كبوة أخرى.

يقول الكوني:

(احتلوا ونزريك وأقاموا فيها معسكراً للاعتقال ... هل تدري ماذا فعل الطليان هناك، في معسكر ونزريك؟ ... اختاروا ثلاثة أو أربعة من كل واحة وقطعوا رؤوسهم ورفعوها على حراب البنادق وفوق الدبابات ودخلوا بها الواحات كي يرهبوا الأهالي ويكسروا روح المقاومة في قلوبهم)[2].

1) علي البوصيري، المقاومة الليبية ضدّ الاحتلال الإيطالي في الجزء الغربي من ليبيا، ص62، 63.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ص108، 109.

وبالرجوع إلى بعض المختصين في هذا المجال وجدت أن الإيطاليين لم يقيموا معسكر اعتقال في ونزريك إذ صارت فزان كلها خاضعة مستباحة لهم بعد انتصار معركة محروقة.

وفي هذا يقول علي البوصيري:

(لم يُقم الإيطاليون أي معسكر اعتقال بواحة ونزريك)[1].

هـذا وتصل السخرية أوجها من الجهاد الليبي ومن المجاهدين في هـذه الرباعية وذلك بعد هزيمة محروقة، إذ يقول الكوني على لسان مهمدو:

(ومـلخص القصة أنهم وقعوا بعد تلك الموقعة في كماشة أخرى فحُوصروا أيامـاً حتى اضطر مهمدو أن يحتكم إلى مهنته ويطلب النجدة من الجن. ركن إلى ربوة وطفق يقرأ التعاويذ ويردد الأوراد ويقطع أوصال آية الكرسي مخاطباً أقوى المردة حتى مطلع الفجر فلبى أعوانه النداء وتنادوا وأجمعوا شملهم في الصحاري المجاورة وهبوا لنجدته, قال إنهم جاءوا يركبون العجاج الكثيف وغطوهم بكساء من الغبار وحجبوهم عن أعين العدو الذي يحاصرهم فأمسك المجاهدون بأيدي بعضهم وانسلوا من بين أيدي الطليان في وضح

1) علي البوصيري، استبيان قدم لمركز جهاد الليبيين ضد الإيطاليين بطرابلس، ص1.

النهار)[1].

فهل يعقل أن تكون هذه أحد الطرق التي نجا بها بعض المجاهدين من براثن الطليان؟

أليس في العبارة السابقة استخفاف بالمجاهدين!

هـذا ويقول الكوني أن العملاء والمتعاونين مع الطليان فازوا بنصيب الأسد في المناصب، وذلك لأن الملك فوضهم بالإشراف على التعيينات:

يقول الكوني:

(ولم يكن من المدهش أن يفوز العملاء والمتعاونين مع الطليان بنصيب الأسد في المناصب طالما فوضهم الملك بالإشراف على التعيينات وتوزيع الأدوار والوظائف فكان نصيب الوالي ولاية فزان ليس لأنه اشترك في معركة محروقة كذباً وبهتاناً ولكن بسبب حظوته من الملك وعلاقته بالعروة الوثقى)[2].

ولنا أن نسأل الكوني هل كان الفقيه قدازن الطارقي الذي تولى محافظة أوباري من أولئك الذين تعاملوا مع الطليان حتى يفوز بحصته

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ص101.
2) المصدر السابق، ص26ـ27.

من الغنيمة!

ويبدو أنّ الكوني لم يراجع تاريخ الجهاد الليبي مراجعة دقيقة تمكّنه من استخدامه استخداماً صحيحاً في روايته، أو أنه قرأه ووعاه ولكنه آثر المغالطة فصاغه بهذه الطريقة لغاية في نفسه.

فمثلاً عندما يقول أن فرق الليبيين التي ذهبت إلى بلاد الأحباش انهزمت وأبيدت في نحو قوله:

(في مرزق قالوا له إن هذه هي المرة الثانية التي يحاول فيها الكابتن بورديللو تجميع المقاتلين ودفعهم لغزو الحبشة بعدما فشلت محاولته الأولى. أباد الزنوج فرقته قبل أن تصل بلاد الأحباش وطاردوا من تبقى فضاعوا في أدغال القارة)[1].

ويردّ علي البوصيري على هذا الخلط بقوله:

(الفرق التي ذهبت للحبشة لم تهزم ولكنها مكّنت إيطاليا من الاستيلاء على الحبشة سنة 1935ف على الرغم من الخسائر الفادحة التي تكبّدتها تلك الفرق)[2].

ويجيب أحد المختصين ــ أيضاً ــ عن هذا السؤال في استبيان

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوف، ص147.

2) علي البوصيري، استبيان قدم لمركز جهاد الليبيين ضد الإيطاليين بطرابلس، ص8.

قدم لمركز جهاد الليبيين بقوله:

(إن كان ذلك عام 1936 في حرب الحبشة فإنّ هذه الفرق لم تنهزم)[1].

فإذا انتقلنا إلى معركة أخرى ذكرها الكوني في رباعيته عرضاً ولكنه كعادته وقع في المحظور.

يقول الكوني:

(... شهدت الجوهرة الصدام الدامي الأول في حياتها الكسولة، منذ مذبحة القارّة التي نظمها الطليان ضد المجاهدين في بداية غزو الواحات الجنوبية)[2].

ويقصد بالجوهرة مدينة سبها، وهي التي لم يذكرها باسمها بل كنّى عنها بالجوهرة إلاّ في موضع واحد من رباعيته[3].

وعلى ذلك تكون مذبحة القارة هي مذبحة قارة سبها التي وقعت سنة 1914م.

وهذه المعركة كان قائدها سالم بن عبدالنبي الزنتاني وليس كما

1) أحمد مدلل، استبيان قدم لمركز جهاد الليبيين ضد الإيطاليين بطرابلس، ص4.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوف، ص33.

3) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ص78.

ادّعى الكوني أنّ قائدها أو من ضمن قيادييها شيخ مراكشي[1].

ومعلوم أنّ الإيطاليين دأبوا على استباحة كل قرية أو مدينة محاربة لا يستسلم أهلها أو تكون قريبة من جبهات القتال.

ولكن للكوني رأي آخر مخالف.

يقول عن واحة مرزق التي لم تكن واحة مقاتلة:

(فاستيقظت مرزق في أحد الأيام على هدير المحركات فدخلت سيارات الشحن الواحة في طابور طويل تحمل أكواماً من الجنود الزنوج المسلحين بالبنادق ويرتدون اللباس العسكري الإيطالي ويسددون النظرات العدوانية للأهالي الذين تزاحموا في الفضاء وسط الواحة ليتفرّجوا على عودة بورديللو في موكب مهيب ... استباح الكابتن الواحة لجنوده أربعة أيام، أذن لهم خلالها أن يفعلوا بها ما يحلو لهم. فانطلقت الغرائز وانفلتت الرغبات وبطش بها الأحباش الوحوش الذين حمسهم بورديللو قائلاً (اقتلوهم! عاشروا نساءهم! اقتلوا أطفالهم! اشنقوا رجالهم! الأوباش)[2].

ويجيب عن هذه الفقرة علي البوصيري بقوله:

1) المصدر السابق، ص 86.
2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، 154، 155.

(مرزق لم تستبح حيث أنها لم تحدث بها مقاومة في الاحتلال الأول والثاني فالمعارك الحاسمة في فزن جرت بعيداً عنها، و لم يستبح الإيطاليون إلا القرى التي جرت المقاومة قريباً منها)[1].

وإن كان من مأخذ يؤخذ على الكوني شخصياً ولا أرى أنه يستطيع أن يتخلص منه بأيٍ نوع من الإجابات الدبلوماسية هو قوله عن شيوخ وادي الآجال أنهم لم يشتركوا في جهاد.

يقول الكوني على لسان آهر مخاطباً الشيخ غوما:

(صدعت رأس الشيوخ. لا يجدون مفراً من تحريضاتك، اشتكوا لي، بعضهم شكك في قواك العقلية. أنت تقسوا عليهم. تطلب منهم أكثر مما يستطيعون. إنهم لم يتعودوا. مضى عليهم زمن طويل وهم يعيشون في الوادي على هذه الحال. المواجهة ليست من شيَمهم. حتى الطليان قاوموهم بطريقتهم بسلبيتهم)[2].

وللردّ على هذه العبارة نسأل الكوني من هو قائد معركة قارة سبها في عهد الإدارة الفرنسية؟

أليس هو عبدالقادر بن مسعود الذي هو من شيوخ وادي الآجال

1) علي البوصيري، استبيان قدم لمركز جهاد الليبيين ضد الإيطاليين بطرابلس، ص8.
2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص275.

الذين يتّهمهم بالسلبية في مقاومة الإيطاليين.

يقول علي البوصيري:

(... معـــركة القـــارة في الأربعينيات قادها الشيخ عبدالقادر بن مســعود ضـــد الفرنسيين. فالشيخ عبدالقادر كان من سكّان وادي الآجـــال وهـــو شـــيخ مـــن مشـــائخ الصوفية وله أتباع في كل فزان ... وكثير ممن عاصروه لا يزالون أحياء)[1].

ومـــع نهاية الرباعية أورد الكوني أن الطوارق قاموا بتنظيم ثورة مســـلحة ضدّ العهد الملكي أسفرت عن عزل وزير الداخلية ومحافظ الجوهرة[2].

فمن هو وزير الداخلية الذي عُزل بمرسوم ملكي نتيجة للثورة التي تزعّمها الطوارق؟

ومن هو محافظ سبها الذي عزل بمرسوم ملكي نتيجة لذلك؟

إننا من الناحية التاريخية لم نسمع بهذا أبداً. ولعلّ الكوني أراد أن يحقق للطوارق نصراً على ساحات الورق.

---

1) علي البوصيري، استبيان قدم لمركز جهاد الليبيين ضد الإيطاليين بطرابلس، ص5.

2) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص316.

التصويب

كـــثُرت الأخطاء المطبعية والإملائية والنحوية واللغوية في الرباعية خاصـــة في جـــزئها الرابع (نداء الوقوق) الذي سأتخذه نموذجاً على كـــثرة الأخطاء، فضلاً عن عدم رجوع الروائي إلى المراجع والمصادر التي يستقي منها معلوماته.

فعلى سبيل المثال قال الكوني:

(الحديث الشريف يقول: (اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)[1].

إلاّ أنـــه بالـــرجوع إلى كتب الحديث المختصّة وجدنا أنّ النص مكتوب بطريقة مغايرة.

فعن كذا ... أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(احـــرُثْ لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)[2].

أمـــا الشـــعر فقد جاء الكوني بعجز بيت للمتنبي أورده في سياق

---

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، أخبار الطوفان الثاني، ص130.

2) لسان العرب، ج2، ص134.

حديــث على لسان أحد شخوص رباعيته مستخدماً إياه كحكمة، وإن وضعه بين نقطتين الأمر الذي يجعلنا نعدّه عجز بيت شعري.

يقول الكوني:

(... في الأســابيع الماضية عندما أتى الفرج وتجهم وجه السماء بالســحب القاتمة وهطلت القطرات الأولى قلنا أن الخير جاء والدنيا ستســيل بعــد كل هذا الانتظار الطويل. ولكن تجيء الرياح بما لا تشتهي السفن. انقشعت السحب و...)[1].

إلاّ أنه بالرجوع إلى ديوان الشاعر وجدنا أن عجز البيت يختلف.

يقول المتنبي:

مــا كـــل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن[2]

---

1) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف، نداء الوقوق، ص73.

2) المتنبي، ديوان، دار بيروت، ط لا توجد، تـ 1980م، ص472.

الأخطاء

الأخطاء المطبعية في نداء الوقوق (نموذجاً)

1- (وضع غالون الماء وبدأ يزيح الرمل) ص235.

يقصد وضع غالون البترين.

2- (استقبله بكل حفاوة. رأى مرأته الجميلة اللطيفة) ص 229،

يقصد امرأته.

3- (اليوم ستيقرر مصير المعركة) ص235.

يقصد سيتقرر مصير المعركة.

4- (تابع الحمدار التحديق في وجه الشيخ) ص242.

يقصــد الحكمدار. وقد وردت هذه اللفظة بهذا الرسم كثيراً ص244، 243، 251، 255.

5- (آه يا شيخ عندما لو كان الضمير رجلا لقتلته!) ص 242.

يقصد يا شيخ غوما.

6- (يفرك يديه الخيليتين بهدوء) ص242.

يقصد يديه الخاليتين.

7- (هــذا الهاجس الغامض هو الذي أتى به من الواحة لاكتشاف الدنيا في (الجوهرة) ويدفعن الآن للتململ) ص198.

يقصد ويدفعه.

8- (نزلا من الجمل ونظرا دورهما) 201.

يقصد وانتظرا دورهما.

9- (انتطلقنا بعد الشروق) ص202.

يقصد انطلاقنا بعد الشروق.

10- (وسيقدّم المبررات المقنعة أيضكا) ص228.

يقصد أيضاً.

11- (وكــن يقدّم الدليل جلس والهمك يصلح من وضع العمامة على رأسه) ص312.

كلمة (وكن) لا معنى لها هنا.

12- (الألم هــو الذي خلق منك معلماً بدون علم ولكنك

خنق محبتنا وإجلالنا لألمك) ص264.

لعله يقصد خنت محبتنا.

13- (بصنف التبغ الممضوغ واضاف) ص269.

يقصد بصق.

14- (وانصت لنباح الكلام البعيد) ص293.

يقصد الكلاب البعيدة.

15- (وسوف نرفع رؤوسنا شيئم أم ابيتم) ص298.

يقصد شئتم أم أبيتم.

16- (متعكز المزاج مثل نائم صحا من سبات عميق طويل) ص305.

يقصد متعكر المزاج.

17- (ســحب الشــيخ الثامنة على وجنتيه الغائرتين) ص 257.

لعلها لثامه على وجنتيه.

18- (فرج بمجيئه) ص258.

يقصد فرح بمجيئه.

19- (وجاءني من (مساك) كي يجري من عنقي) ص25.

يقصد بمساك.

20- (بدأ يدلق النار على معدات الشاي) ص25.

يقصد يدلق الماء على معدات الشاي.

الأخطاء اللغوية بنداء الوقوق

1- (يحرثون الأرض بأصابعهم ويتسامرون بأخبار الذهب تحت شعاعات شمس الأصيل) ص227.

التصويب: السمر لا يكون إلا ليلاً.

2- (أشكرك. العجز يا سي الحكمدار. ماذا بوسع المرء أن يفعل مع العمر والكبر؟) ص244، 187، 30، 198، 258، 85، 132.

التصويب: كلمة يا سي الحكمدار كلمة عامية ومعناها يا سيد.

3- (واعتبر اعتقال الخبير الطلياني استفزاز موجه له شخصياً) ص255.

التصويب: كلمة اعتبر دخيلة على اللغة العربية ويجب أن

تستبدل بـ عدّ وكذلك يعتبر بيعدّ وهكذا.

4- (وهو كرجل عقلاني يريد الاجابات المادية) ص15.

التصويب: لا يجوز إدخال الكاف في هذا الموضع.

5- (وانطلق يجري مصمماً أن يلحق بالنشّال) ص187.

التصويب: كلمة نشّال ليست في محلها فهو لم ينشل بل احتال.

6- (لا خدمة ولا قدمة) ص196.

جملة عامية.

7- (هذا صحيح بالنسبة لمن ينوي أن يأتي بالكبائر) ص 309، 280.

التصويب: كلمة بالنسبة لا معنى لها هنا ويجب أن تحذف.

8- (واسقط بعض حبات الثمار النيئة) ص272.

التصويب: الثمار غير الطازجة.

9- (ونحر المعزة فوق القبر مباشرة) ص294.

التصويب ذبح المعزة.

10- (رطن موري يومها طويلاً) ص132.

التصويب: كلمة رطن كلمة عامية.

الأخطاء النحوية بنداء الوقوق:

1- (ألا تــرى بأن يداك ملوثتان بالدماء كأي مجرم) ص .263

التصويب: ألا ترى أن يديك ملوثين.

2- (لـمـاذا على موري أن يدفع إثم اقترفه بورديللو) ص .264

التصويب: أن يدفع : أن يدفع إثماً.

3- (أنـــت لا تستطيع أن تتقمص شخص. لا تستطيع أن تعيش داخل جسمي) ص264.

التصويب: إما أن تتقمص شخصاً، وإما أن تتقمص شخصيتي.

4- (... فلاحـــظ شفتاها الملوثتان بالطين الأبيض) ص .229

التصويب: فلاحظ شفتيها الملوثتين بالطين الأبيض.

5- (أقام موري سرادق فخماً) ص131.

التصويب: سرادقاً فخماً.

6- (وسيجد نفسه متورط في الدوامة الدنيوية) ص228.

التصويب: سيجد نفسه متورطاً.

7- (واعتـــبر اعـــتقال الخـــبير الطلياني استفزاز موجه له شخصياً) ص255.

التصويب: استفزازاً موجهاً.

8- (وبـــرغم ذلك فإن يوم في مساك يعادل ألف في هذا الوادي) ص259.

التصويب: فإن يوماً في مساك يعادل ألفاً.

9- (هل هناك حساب في الدنيا الآخرة أم لا؟) ص261.

التصويب: هل هناك حساب في الدنيا الآخرة أو لا؟.

10- (العجائز تحصن نفسها وأقارها وبيوهما بآيات القرآن) ص85.

التصويب: العجائز يحصن أنفسهن وأقارهن وبيوتهن.

11- (التفاصـــيل تقول أن الحزن ساد الجوهرة بعد سقوط القتـــلى وظل الحداد يخيم أياماً حتى حل ميعاد تشييع الجنازة) ص34.

التصويب: تشييع الجنائز.

12- هـــذا جل الأخطاء الإملائية واللغوية والنحوية الواردة بنداء الوقوف وليس كلها.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1ــ رباعية الكوني.

- البئر.
- الواحة.
- أخبار الطوفان الثاني.
- نداء الوقوف.

ثانيا المراجع

1- الجـــامع لأحكـــام القرآن، أبو أحمد محمد ابن أحمد الأنصـــاري، ط لا توجد، ت لا توجد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

2- الزمخشـــري، الكشاف، ط لا توجد، ت لا توجد، دار الكتاب العربي، بيروت.

3- أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تـــأويل آي القرآن، ط لا توجد، ت 1988، دار الفكر.

4- محمد الرازي فخر الدين، تفسير الرازي، ط الأولى، ت 1981، دار الفكر، بيروت.

5- الموطأ، الإمام مالك، ط2، ت1990م، دار الكتاب العربي، بيروت.

6- نُزهة المتقين شرح رياض الصالحين، تأليف مصطفى سعيد الخن، وآخرون، ط العشرون، ت 1992م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

7- أحمد بن محمد الدردير، الشرح الصغير، ط الأخيرة، ت1952م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

8- الفقه على المذاهب الأربعة، عبدالرحمن الجزيري، ط لا توجد، ت لا توجد، دار الفكر، بيروت.

9- بُلغة السالك لأقرب المسالك، أحمد بن محمد الصاوي، ط لا توجد، ت 1952، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

10- ديوان المتنبي، دار بيروت، ط لا توجد، تـ 198م.

11- لسان العرب.

12- أحمد مدلل، استبيان قدم لمركز جهاد الليبيين ضد

الإيطاليين بطرابلس.

13- علي البوصيري، المقاومة الليبية ضدّ الاحتلال الإيطالي في الجزء الغربي من ليبيا.

14- علي البوصيري، استبيان قدم لمركز جهاد الليبيين ضد الإيطاليين بطرابلس.

15- مصطفى حامد، استبيان قدم لمركز جهاد الليبيين ضد الإيطاليين بطرابلس.

الفهرس

صدر للمؤلف

1- (الزيّات ناقداً)، دار الجيل.

2- (ابن الرومي ـــ دراسة نقديّة باللغة الإنجليزية)، دار الحكمة، لندن.

3- تحت الطبع: (ديوان الأرض الهلامية).